Qassim University
جامعة القصيم
المجلة العلمية لجامعة القصيم
(مجلة محكمة)

المجلد (١٠) – العدد (٢)

مجلة
العلوم العربية والإنسانية

ربيع ثاني ١٤٣٨هـ - يناير ٢٠١٧

النشر العلمي والترجمة

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٢)، ص‌ص ٥٢٩-١١٥٠ بالعربية، (ربيع ثاني ١٤٣٨هـ/ يناير ٢٠١٧)

المحتويات

صفحة

تَمَنْطُقُ النَّحْوِ "بَيْنَ مَدْكُورٍ وحِيرَار ترُوبُوَ"
د. عبدالعزيز بن أحمد البجادي ٥٢٩

تضمُّن الحُروفِ في بابِ البناء "دراسة نقديّة"
د. عبدالله بن عبدالعزيز الوقيت ٥٨٣

ليت في القرآن الكريم بين الممكن والمستحيل
د. حسن عبدالعاطي محمد..... ٦٢١

أثر المنطق اليوناني في الخلاف النحوي من خلال كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري
د. نضال محمود خلف الفراية، و د. عبدالله حسن أحمد الذنيبات ٦٧٥

من مظاهر اللهجات اليَمَنيّة القديمة في اللهجة القَصِيْمِيّة المعاصرة "دراسة في المستوى الدلاليّ" (من خلال مواد لغوية مختلفة تبدأ بحرفي الشين والنون وحروف أخرى بينهما)
د. خالد بن محمد بن سليمان الجمعة..... ٧٣٣

الأخطاءُ اللغويّة في الصّحافة وأثرُها في تعليم العربيّة للناطقين بغيرها
د. فاطمة محمد العليمات ٨٠١

المحكوم عليه بالقبح عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) "دراسة نحوية"
د. هدى بنت سليمان بن سعد السراء ٨٣٣

تأثر حضارة (ثاج) بحضارات الجزيرة العربية وبعض المناطق المجاورة
د. أماني بنت خليفة محمد البحر ٨٨٧

موقف بريطانيا من ضم الملك عبد العزيز للأحساء ١٣٣١هـ / ١٩١٣م
أ. **د. محمد بن علي السكاكر** ٩٤٩

النزاع بين مصالح البترول البريطانية والأمريكية في الشرق الأوسط
١٣٣٧ – ١٣٥٧هـ / ١٩١٩ – ١٩٣٩م
د. عبدالرحمن بن علي السديس ٩٩٥

السياحة البيئية وتنمية المستوطنات الحضرية الصغيرة في الصحاري القاحلة: حالة مدينة جُبَّة - صحراء النفود الكبير - المملكة العربية السعودية
أ. **د. محمد بن صالح الربدي** ١٠٢٩

اتجاهات الشباب السعودي نحو العمل في المهن والوظائف الصغيرة بالقطاع الخاص "أحد مظاهر التغير الاجتماعي في المملكة العربية السعودية"
د. محمد بن عبدالرحمن السعوي ١٠٨٩

مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٢)، ص ص ٥٢٩-٥٨٢، (ربيع ثاني ١٤٣٨هـ/ ديسمبر ٢٠١٦)

تَمَنْطُقُ النَّحْوِ
"بَيْنَ مَدْكُورٍ وجِيرَار تروبُوَ"

د. عبدالعزيز بن أحمد البجادي
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث. لَيْسَتْ قَضِيَّةُ « تَأَثُّرِ النَّحْوِ بِالمَنْطِقِ » بِالأَمْرِ الجَدِيدِ، لَقَدْ أُلِّفَ فِيهَا عَشَرَاتُ الكِتَابَاتِ مَا بَيْنَ كِتَابٍ، ومَقَالٍ، وفَصْلٍ مِنْ أُطْرُوحَةٍ عِلْمِيَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِسْهَامِي فِيهَا لِتَكْثِيرِ المَكْتُوبِ عَنْهَا، أَوْ لِتَكْرَارِ شَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ مِنْهَا، ولَكِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ كَتَبَ عَنْهَا إِمَّا مُفَنِّدًا مُطْلَقًا، وإِمَّا مُؤَيِّدًا مُطْلَقًا، وإِمَّا مُجْتَهِدًا فِي أَنْ يَتَوَسَّطَ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ جَامِعٌ بَيْنَ القَوْلَيْنِ، أَوْ مُلَفِّقٌ قَوْلًا ثَالِثًا، ولَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ حَايَدَ بِنِقَاشٍ لِكِلَا القَوْلَيْنِ نِقَاشًا عِلْمِيًّا مُتَنَاثِيًا عَنْ كُلِّ مُؤَثِّرٍ، فَرَأَيْتُ أَنْ أُعَارِضَ قَوْلَ المُثْبِتِ بِقَوْلِ النَّافِي، وقَوْلَ النَّافِي بِقَوْلِ المُثْبِتِ، عَلَى بِسَاطٍ عِلْمِيٍّ جَادٍّ، مُنَاقِشًا حُجَّةَ كِلَيْهِمَا، ومُفَتِّشًا فِي جَوَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مُوَظِّفًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أُصُولَ الجَدَلِ، والتَّجَرُّدَ المِحْضَ، وَفْقَ مَا يُعْرَفُ بِتَحْلِيلِ المَعْرِفَةِ - أَوْ نَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ - = (الإِبِسْتِمُولُوجِي - Epistemology)، فَاخْتَرْتُ لِطَرَفَيْ النِّزَاعِ أَشْهَرَ اثْنَيْنِ عُرِفَتْ بِهِمَا المَسْأَلَةُ، أَحَدُهُمَا : الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ بَيُّومِي مَدْكُورٌ - لِكَوْنِ رَأْيِهِ فِي إِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ خُلَاصَةَ مَا قَالَهُ المُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَهُ، إِذ سَاقَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَسَاقًا وَاحِدًا - والآخَرُ : المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ « جِيرَار تروبُو » - لِكَوْنِهِ مُمَثِّلًا لِنُفَاةِ التَّأَثُّرِ، مُحْصِيًا لِلْخِلَافِ، مُنَاقِشًا بِنَفَسٍ طَوِيلٍ - وقَدْ أَوْرَدْتُ فِي المَبْحَثِ الأَوَّلِ كُلَّ حُجَجِ مَدْكُورٍ، وأَجْوِبَةَ تروبُو عَنْهَا، وَوَقَفْتُ مَعَ كُلِّ مَوْقِفَ تَحْلِيلٍ عِلْمِيٍّ صِرْفٍ، وعَرَضْتُ فِي المَبْحَثِ الثَّانِي سَبْعَةَ أُمُورٍ حَاقَقْتُ بِهَا الطَّرَفَيْنِ .

المقدمة

الحَمْدُ للهِ إِلَهِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، عَالِمِ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأَرَضِينَ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى، مُحَمَّدٍ المُجْتَبَى، وآلِهِ، وصَحْبِهِ، ومَنْ سَبِيلَهُ اخْتَارَ وقَفَا.

لَيْسَتْ قَضِيَّةُ «تَأَثُّرِ النَّحْوِ بِالمَنْطِقِ» بِالأَمْرِ الجَدِيدِ، لَقَدْ أُلِّفَ فِيهَا عَشَرَاتُ الكِتَابَاتِ مَا بَيْنَ كِتَابٍ، ومَقَالٍ، وفَصْلٍ مِنْ أُطْرُوحَةٍ عِلْمِيَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِسْهَامِي فِيهَا لِتَكْثِيرِ المَكْتُوبِ عَنْهَا، أَوْ لِتَكْرَارِ شَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ مِنْهَا، ولَكِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ كَتَبَ عَنْهَا إِمَّا مُفَنِّدًا مُطْلَقًا، وإِمَّا مُؤَيِّدًا مُطْلَقًا، وإِمَّا مُجْتَهِدًا فِي أَنْ يَتَوَسَّطَ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ جَامِعٌ بَيْنَ القَوْلَيْنِ، أَوْ مُلَفِّقٌ قَوْلًا ثَالِثًا، ولَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ حَايَدَ بِنِقَاشٍ لِكِلَا القَوْلَيْنِ نِقَاشًا عِلْمِيًّا مُتَنَائِيًا عَنْ كُلِّ مُؤَثِّرٍ، فَرَأَيْتُ أَنْ أُعَارِضَ قَوْلَ المُثْبِتِ بِقَوْلِ النَّافِي، وقَوْلَ النَّافِي بِقَوْلِ المُثْبِتِ، عَلَى بِسَاطٍ عِلْمِيٍّ جَادٍّ، مُنَاقِشًا حُجَّةَ كِلَيْهِمَا، ومُفَتِّشًا فِي جَوَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مُوَظِّفًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أُصُولَ الجَدَلِ، والتَّجَرُّدَ المَحْضَ، وَفْقَ مَا يُعْرَفُ بِتَحْلِيلِ المَعْرِفَةِ -أَوْ نَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ- (= الإِبِسْتِمُولُوجِي - Epistemology)، فَاخْتَرْتُ لِطَرَفَيْ النِّزَاعِ أَشْهَرَ اثْنَيْنِ عُرِفَتْ بِهِمَا المَسْأَلَةُ، أَحَدُهُمَا: الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ بَيُّومِي مَدْكُورٌ -لِكَوْنِ رَأْيِهِ فِي إِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ خُلَاصَةَ مَا قَالَهُ المُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَهُ، إِذ سَاقَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَسَاقًا وَاحِدًا - والآخَرُ: المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ «جِيرَار تروبو» -لِكَوْنِهِ مُمَثِّلًا لِنُفَاةِ التَّأَثُّرِ، مُحْصِيًا لِلْخِلَافِ، مُنَاقِشًا بِنَفَسٍ طَوِيلٍ-.

وقَدْ جَعَلْتُ حَدِيثِي فِي مُقَدِّمَةٍ تُعَرِّفُ بِالبَحْثِ، وقِيمَتِهِ، والغَرَضِ مِنْهُ، ومَدْخَلٍ ذَكَرْتُ فِيهِ تَارِيخَ الخِلَافِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، وأَهَمَّ أَعْلَامِهِ، ومَبْحَثَيْنِ، أَحَدُهُمَا لِإِيرَادِ حُجَجِ مَدْكُورٍ، وجَوَابِ تروبو عَنْهَا، مَعَ تَحْلِيلِ الحُجَّةِ والجَوَابِ تَحْلِيلًا عِلْمِيًّا صِرْفًا، والآخَرُ لِمُحَاقَّةِ طَرَفَيْ النِّزَاعِ مِمَّنْ ذُكِرُوا فِي المَبْحَثِ الأَوَّلِ ومِنْ غَيْرِهِمْ فِي سَبْعَةِ أُمُورٍ، وخَاتِمَةٍ ذَكَرْتُ فِيهَا أَهَمَّ نَتَائِجِ البَحْثِ.

واللهُ الهَادِي إِلَى الصَّوَابِ.

مَدْخَلٌ

يَذْكُرُ «جِيرَار ترُوبُو»(١) أَنَّ الْمُسْتَشْرِقَ الأَلْمَانِيَّ مَاركْسَ «Merx» - الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٨٧٤م(٢) - هُوَ أَوَّلُ مَنْ زَعَمَ تَأَثُّرَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالمَنْطِقِ اليُونَانِيِّ(٣) بِاقْتِبَاسِهِ شَيْئًا مِنَ المَفَاهِيمِ والمُصْطَلَحَاتِ، وأَنَّ مُعْظَمَ الْمُسْتَشْرِقِينَ اقْتَفَوْهُ فِي أَصْلِ الفِكْرَةِ، وذَكَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً يُمَثِّلُونَ ثَلَاثَ فِئَاتٍ، فَالْمُسْتَشْرِقُ الفِرِنْسِيُّ «فْلِيشُ» Fleisch -الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٨٥م(٤) - أَكَّدَ أَنَّ التَّأَثُّرَ كَانَ بِمَنْطِقِ أَرِسْطُو، لَا بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ، والْمُسْتَشْرِقُ الهُولَنْدِيُّ «فِيرِسْتِيغُ» Versteegh - ولَا يَزَالُ حَيًّا(٥) - يُؤَيِّدُ أَمْرَ التَّأَثُّرِ، لَكِنَّهُ يَجْعَلُ

---

(١) مستشرق فرنسي، كان أستاذا جامعيا في «المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية» بالأكاديمية الفرنسية، مختصا بالشرق المسيحي، وباحثا مشاركا في اللغة العربية، تولى إدارة قسم «فقه اللغة العربية» في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، توفي سنة ٢٠١٠م.

ينظر: موسوعة ويكيبيديا: https://fr.wikipedia.org/wiki/G%C3%A9rard_Troupeau

(٢) ماركس جوزيف مولر، مستشرق ألماني، عالم باللغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية من مؤلفاته: «المجموعة المغربية»، و «أخبار، العصر في انقضاء دولة بني نصر»، و «مجموعة رسائل لابن رشد»، مات سنة ١٨٧٤م.

ينظر: موسوعة ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3_%D9%85%D9%88%D9%84%D8%B1

(٣) تنقل الأستاذة صفية بنت زينة في «القسمة الثلاثي للكلم بين النحو العربي والمنطق الأرسطي» / ٢١٣ عن الدكتور الحاج عبد الرحمن أن أقدم من اتخذ موقفا من القضية وزعم بوجود تأثير يوناني هو الباحث المستشرق إنياس جيدي قبل ماركس.

(٤) الأب هنري فليش، مستشرق فرنسي، متخصص في اللهجات الشرقية: اللغة العربية – الفصحى من جوانبها الصوتيَّة والصرفيَّة والاشتقاقيَّة، واللهجة اللبنانية – واليونانية، واللاتينية، والسريانية، والعبرية، أمضى سنين في تتبع النقوش الحجرية بلبنان، وتوفي سنة ١٩٨٥م. وله «العربيَّة الفصحى».

ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبد الله السعدي (وزارة الأوقاف بقطر – ط الأولى) ٢ / ٨٩٧. ينظر: موسوعة ويكيبيديا: https://en.wikipedia.org/wiki/Henri_Fleisch

(٥) مستشرق هولندي، لغوي، شغل منصب أستاذ الدراسات الإسلامية واللغة العربية في جامعة رادبود في نيميغن بهولندا إلى سنة ٢٠١١م، كانت رسالته الدكتوراه في أثر اليونان في اللغة العربية.

ينظر: موسوعة ويكيبيديا: https://en.wikipedia.org/wiki/Kees_Versteegh

التَّأَثُّرَ بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ، لَا بِالمَنْطِقِ اليُونَانِيِّ، والمُسْتَشْرِقُ الإِنْكِلِيزِيُّ «كَارتَرُ» Carter – وقَدْ أَبْدَى رَأْيَهُ سَنَةَ ١٩٦٦ – كَانَ مُتَوَسِّطًا؛ فَرَأَى أَنَّ سِيبَوَيْهِ اسْتَعْمَلَ مَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ: مَجْمُوعَةً قَلِيلَةً لَعَلَّهَا يُونَانِيَّةُ الأَصْلِ، ومَجْمُوعَةً كَثِيرَةً عَرَبِيَّةَ الأَصْلِ، مَنْقُولَةً مِنَ الفِقْهِ إِلَى النَّحْوِ(٦).

ومِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْهُ مِنْ مَشْهُورِي المُسْتَشْرِقِينَ مُثْبِتِي التَّأَثُّرِ سِتَّةٌ، كَانُوا بَيْنَ «مَاركْسَ» ومَنْ ذُكِرُوا مَعَهُ:

أَحَدُهُمْ: المُسْتَشْرِقُ الفِرِنْسِيُّ رِينَانُ[١٨٩٢](٧) الَّذِي جَزَمَ بِأَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ تَأَثَّرَ بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ عَنْ طَرِيقِ السِّرْيَانِ(٨).

والثَّانِي: المُسْتَشْرِقُ الرُّوسِيُّ بَارتُولْدُ[١٩٣٠](٩)؛ فَفِي حَدِيثِهِ عَنْ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ ذَكَرَ البَصْرَةَ والكُوفَةَ فَقَالَ: «نَشَأَتْ فِي كِلْتَا المَدِينَتَيْنِ مَدْرَسَةٌ لِلنَّحْوِيِّينَ واللُّغَوِيِّينَ، فَكَانَتْ

---

(٦) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١-١٩٧٨م) ص ١٢٥ – ١٢٦.

(٧) آرنست رينان، مستشرق فرنسي، فيلسوف، لاهوتي، عمل على تاريخ النصرانية وتاريخ بني إسرائيل، كان شديد التحامل على العرب، والإسلام، اجتهد في حجب إيجابيات الإسلام، من مؤلفاته: «ترجمة سفر أيوب»، و «حياة يسوع»، و «الرسل»، و «القديس بولس»، مات سنة ١٨٩٢.

ينظر: المستشرقون والتنصير للدكتور علي بن إبراهيم النملة(ط الأولى) / ١٠٦، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، لإسحاق بن عبد الله السعدي(وزارة الأوقاف بقطر – ط الأولى) ٢ / ٧١٠.

(٨) د. إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية(ط الثانية – ١٩٩٢) / ٣٨.

(٩) فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد، مستشرق روسي، شارك في التأليف في تاريخ الحضارة الإسلامية، مات سنة ١٩٣٠م.

ينظر: ويكبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%84%D9%8A_%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%88%D9%84%D8%AF

مُجَادَلَاتٌ ومُنَافَسَاتٌ بَيْنَ البَصْرِيِّينَ والكُوفِيِّينَ، ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الوَاضِعِينَ لِلْعُلُومِ العَرَبِيَّةِ - أَيْضًا - مِنَ العَرَبِ، بَلْ كَانُوا أَعْجَامًا»(١٠).

والثَّالِثُ: المُسْتَشْرِقُ دِي بُورُ المُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ[١٩٥٨]؛ فَإِنَّهُ قَالَ - فِي بِدَايَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ كَمَا يَقُولُ الدُّكْتُورُ أَبُو رَيْدَهْ(١١) -: «والعَرَبُ يَنْسِبُونَ إِلَى عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَضْعَ عِلْمِ النَّحْوِ وأَشْيَاءَ كَثِيرَةً، حَتَّى لَيَنْسِبُونَ إِلَيْهِ تَقْسِيمَ أَرِسْطُوَ الكَلِمَةَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ.. وسَبْقُ أَهْلِ البَصْرَةِ إِلَى الِانْتِفَاعِ بِالمَنْطِقِ لَمْ يَكُنْ مَحْضَ اتِّفَاقٍ؛ لِأَنَّ تَأْثِيرَ المَذَاهِبِ الفَلْسَفِيَّةِ ظَهَرَ فِي البَصْرَةِ قَبْلَ ظُهُورِهِ فِي غَيْرِهَا»(١٢)، وقَالَ: «وقَدْ أَثَّرَ المَنْطِقُ فِي عُلُومِ اللِّسَانِ.. وابنُ المُقَفَّعِ - الَّذِي كَانَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ صَدِيقًا لِلْخَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ - يَسَّرَ لِلْعَرَبِ الِاطِّلَاعَ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ مِنَ اللُّغَةِ الفَهْلَوِيَّةِ(١٣) مِنْ أَبْحَاثٍ لُغَوِيَّةٍ ومَنْطِقِيَّةٍ»(١٤).

---

(١٠) ف. بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر(دار المعارف - ط الرابعة) / ٧٢ - ٧٣.

(١١) محمد عبد الهادي أبو ريدة، مقدمة تاريخ الفلسفة في الإسلام لِدي بور / ٩.

(١٢) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام(ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده) / ٥٧.

(١٣) اللغة الفَهْلَوية(= البهلوية) : هي الفارسية الوسطى ذات الخط المقطعي المتطور عن الخط الآرامي، كانت بين القديمة(= الآرامية) ذات الخط المسماري، والحديثة ذات الخط العربي، تحدثها الأشكانيون منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثاني الميلادي، فكانت تسمى(الفهلوية الأشكانية)، ثم تكلمها الساسانيون منذ القرن الثالث الميلادي إلى منتصف القرن السابع، أي: في نهاية القرن الأول الهجري، فكانت تسمى(الفهلوية الساسانية)، وأما الحديثة فقد بدأت في الظهور في القرن الثاني الهجري.

ينظر: موسوعة ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨٤%٩D%٨BA%D%٨A٩_%D%٨A%٨D%٨٧%٩D%٨٤%٩D%٨٨%٩D٨%٩A%D%٨A٩

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨٤%٩D%٨BA%D%٨A٩_%D%٨١%٩D%٨A%٧D%٨B%١D%٨B%٣D٨%٩A%D%٨A٩

(١٤) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام(ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده) / ٥٨.

والرَّابِعُ: المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ تُيُودُورُ نُولْدِكَه[١٩٣٠]؛ حَيْثُ قَرَّرَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْكَرَ وُجُودُ مُؤَثِّرَاتٍ يُونَانِيَّةٍ(=أَرِسْطِيَّةٍ) عَلَى النَّحْوِ العَرَبِيِّ(١٥).

والخَامِسُ: المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ برَوْينلِش[١٩٤٥](=برُونلِخُ)(١٦)، الَّذِي أَثْبَتَ تَأْثِيرًا أَجْنَبِيًّا عَلَى يَدِ سِيبَوَيْهِ، لِكَوْنِهِ فَارِسِيًّا(١٧)، ولَعَلَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْحَى - فِيمَا بَعْدُ - إِلَى برُوكِلْمَانَ فِكْرَةَ التَّأْثِيرِ الفَارِسِيِّ - عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ -.

والسَّادِسُ: المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ كَارْل برُوكِلْمَانُ[١٩٥٦] تِلْمِيذُ نُولْدِكَهْ، فَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَتَشَكَّكَ فِي كَوْنِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ مُنْبَثِقًا مِنَ العَقْلِيَّةِ العَرَبِيَّةِ(١٨)، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا تَعْيِينُ أَوَّلِ مَنْ وَجَّهَ العَرَبَ إِلَى الِاشْتِغَالِ بِالبُحُوثِ اللُّغَوِيَّةِ فَهَذَا أَمْرٌ لَايَزَالُ غَامِضًا بَعْدُ، ومَا يُرْوَى مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ المَزْعُومِينَ؛ فَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ أَكِيدٍ - أَيْضًا - مِثْلُ عَلَاقَاتِ أَبِي الأَسْوَدِ نَفْسِهِ بِهَذِهِ الدِّرَاسَاتِ(١٩)، وأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعُدَّ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ الأَسَاطِيرِ(٢٠)، لَكِنَّهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مُسْتَنَدًا لِلتَّأْثِيرِ الأَجْنَبِيِّ اللَّاتِينِيِّ الهِنْدِيِّ، فِيمَا عَدَا

---

(١٥) د. إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية(ط الثانية – ١٩٩٢) / ٣٩.

(١٦) أرش برونلش، مستشرق ألماني، عني بالشعر الجاهلي، وحياة البدو، واللغة العربية، ومعاجمها، كان أستاذا في جامعة ليبتسك، خلفًا للغوي «أوجست فشر» – صاحب المعجم – من مؤلفاته: «بسطان بن قيس، أمير وبطل بدوي في العصر الجاهلي»، و «البدو»، و «البئر في بلاد العرب القديمة»، و «الخليل وكتاب العين»، و «في مسألة صحة الشعر الجاهلي»، . و «دراسات عن أبي ذؤيب»، وأخرج – بالتعاون مع فشر – «فهارس الشواهد» – النحوية واللغوية العربية – مات سنة ١٩٣٤.

ينظر: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية: http://www.iicss.iq/?id=94

(١٧) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي(دار المعارف – ط الرابعة) ٢ / ١٢٣.

(١٨) المرجع السابق ٢ / ١٢٤.

(١٩) المرجع السابق ٢ / ١٢٨.

(٢٠) المرجع السابق ٢ / ١٢٣.

الْمُصْطَلَحَاتِ - الَّتِي أَوْمَأَ دُونَ تَصْرِيحٍ إِلَى تَأْثِيرٍ أَجْنَبِيٍّ فِيهَا[٢١] - لَمْ يَشَأْ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ دُونَ أَنْ يَجْعَلَ لِغَيْرِ العَرَبِ فَضْلًا عَلَيْهِمْ وإِنْ قَلَّ، فَأَثْبَتَ تَأْثِيرًا فَارِسِيًّا مَفْهُومًا مِنِ «أَيْ» التَّفْسِيرِيَّةِ، وتَأْثِيرًا سِرْيَانِيًّا فِي الخَطِّ والشَّكْلِ، أَمَّا التَّأْثِيرُ الفَارِسِيُّ؛ فَقَالَ عَنْهُ: «أَمَّا اشْتِرَاكُ الفُرْسِ فِي تَكْوِينِ عِلْمِ العَرَبِيَّةِ؛ فَمِنَ الدَّلَائِلِ البَارِزَةِ عَلَيْهِ اسْتِعْمَالُ «اسْمِ الإِشَارَةِ» [كَذَا قَالَ الْمُتَرْجِمُ، والظَّاهِرُ أَنَّ صَوَابَهُ: اسْتِعْمَالُ حَرْفِ التَّفْسِيرِ] فِي اللُّغَةِ الفَارِسِيَّةِ الوُسْطَى(البَهْلَوِيَّةِ): «أَيْ» فِي مَعْنَى: «وَهُوَ» - أَوْ مَعْنَى: «يَعْنِي» - وقَدْ بَقِيَ هَذَا الِاسْتِعْمَالُ إِلَى اليَوْمِ»[٢٢]، وأَمَّا التَّأْثِيرُ السِّرْيَانِيُّ؛ فَقَالَ عَنْهُ: «ويَبْدُو حَقًّا كَذَلِكَ أَنَّهُ - يَعْنِي الخَلِيلَ - ابْتَكَرَ شَكْلَ الحُرُوفِ، وعَلَامَاتِ القِرَاءَةِ، اسْتِنَادًا إِلَى نَمَاذِجَ سِرْيَانِيَّةٍ»[٢٣].

ومَا مَرَّ مِنْ تَوَسُّطِ «كَارْتَرَ» جَاءَ - فِيمَا يَظْهَرُ - شَاقًّا لِإِجْمَاعِ الْمُسْتَشْرِقِينَ عَلَى إِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ؛ ومُمَهِّدًا لِلْقَوْلِ بِالنَّفْيِ التَّامِّ لِلتَّأَثُّرِ عِنْدَ مُعَاصِرِهِ «جِيرَارْ تْرُوبُوَ» الَّذِي نَفَى -فِي السَّنَةِ ذَاتِهَا(١٩٦٦م) - التَّأَثُّرَ مُطْلَقًا؛ فَقَدْ قَالَ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الحَاجُّ سَنَةَ ٢٠٠٢م: «نَشَرْنَا فِي ١٩٦٤م مَقَالًا حَاوَلْنَا أَنْ نُبَرْهِنَ فِيهِ عَلَى أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ، لَمْ يَتَأَثَّرْ فِي نَشْأَتِهِ ولَا عِنْدَ اكْتِمَالِهِ فِي زَمَانِ الخَلِيلِ وسِيبَوَيْهِ بِمَنْطِقِ أَرِسْطُوَ إِطْلَاقًا، وقَدْ أَقَرَّ بِذَلِكَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ الْمُسْتَشْرِقَانِ: «كَارْتَرُ» (Carter)، و«تْرُوبُو» (G.Troupeau)، ثُمَّ قَالَ: «أَجْمَعَ الْمُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَ اليَوْمَ عَلَى حُصُولِ هَذَا التَّأْثِيرِ، بَلْ

---

(٢١)كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي(دار المعارف – ط الرابعة) ٢ / ١٢٤.

(٢٢) المرجع السابق ٢ / ١٢٤.

(٢٣) المرجع السابق ٢ / ١٣٢.

ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ مَفَاهِيمَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ الأَسَاسِيَّةَ كُلَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ مَنْطِقِ أَرِسْطُوَ»[٢٤].

فَظَاهِرُ كَلَامِهِ التَّعَارُضُ؛ لِأَنَّهُ فِي سَنَةِ ٢٠٠٢ أَثْبَتَ أَوَّلًا أَنَّ اثْنَيْنِ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَقَرَّا بِنَفْيِ التَّأَثُّرِ سَنَةَ ١٩٦٦، ثُمَّ نَقَلَ إِجْمَاعَ الْمُسْتَشْرِقِينَ عَلَى إِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ، فَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «أَجْمَعَ الْمُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَ اليَوْمَ» أَيْ: قَبْلَ إِقْرَارِ هَذَيْنِ الْمُسْتَشْرِقَيْنِ.

ويَبْدُو أَنَّ مُحَاضَرَاتِ «جِيرَارْ تْرُوبُو» - فِي هَذَا الصَّدَدِ - كَانَتْ لِتَفْنِيدِ حُجَجِ الدُّكْتُورِ إِبْرَاهِيمَ بَيُّومِي مَدْكُورٍ، الَّذِي جَمَعَ مَا قَالَهُ الْمُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَهُ، ومَا قَالَهُ جُرْجِي زَيْدَانُ فِي نِهَايَةِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ أَوْ بِدَايَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ - وسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ - فَقَدْ سَاقَ مَدْكُورٌ ذَلِكَ كُلَّهُ مَسَاقًا وَاحِدًا فِي تِلْكَ الْمُحَاضَرَاتِ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي مُؤْتَمَرِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٩٤٨م، ثُمَّ نُشِرَتْ فِي مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ فِي عَدَدِهَا السَّابِعِ[٢٥]، قَبْلَ أَنْ يَعْتَمِدَ ذَلِكَ الْمُطْرَانُ[٢٦] إِسْحَاقُ سَاكَا[٢٧]؛ والدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ

---

(٢٤) عبد الرحمن الحاج، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٩٦، من بحث ألقاه في مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والستين سنة ٢٠٠٢ م.

(٢٥) بعنوان «منطق أرسطو والنحو العربي» ص ٣٣٨.

(٢٦) المطران مار سويريوس إسحق ساكا، أقام مديرا على مدرسة السريان بالحسكة بسوريا من سنة ١٩٥٦ إلى أن نال الدرجة الكهنوتية سنة ١٩٦١، ثم عّين قاصدًا رسوليًا في الهند سنة ١٩٦٩، ثم رئيسا لدير مار متى الناسك سنة ١٩٧١، ثم نائبا بطريكيا بدمشق سنة ١٩٨٠، ثُمَّ مطرانًا بها سنة ١٩٨١، ثم نائبًا بطريركيًا للدراسات السريانية العليا، وأستاذًا للعلوم السريانية واللاهوتية في الدير الكهنوتي بالموصل سنة ١٩٩٠، من مؤلفاته: «سلسلة السريان إيمان وحضارة»، و «قصائد مختارة للشاعر القس يعقوب ساكا»، و «المزامير»، و «الملائكة»، وغيرها.

ينظر: الموقع الرسمي لبطريكية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس:
http://www.syrian-orthodox.com/readnews.php?id=1147

(٢٧) لأن بحث بيومي ألقي سنة ١٩٤٨، وكان إسحاق ساكا قد أنهى دراسته الابتدائية سنة ١٩٤٧.

كَانَ مُهَيَّأً لُغَوِيًّا وفِكْرِيًّا لِأَنْ يُنَاقِشَ مِثْلَ هَذَا المَوْضُوعِ الدَّقِيقِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا حَفِظَ القُرآنَ فِي صِغَرِهِ ؛ دَرَسَ فِي الأَزْهَرِ، ثُمَّ تَخَرَّجَ فِي دَارِ العُلُومِ، ثُمَّ أَخَذَ شَهَادَتَيْ لِيسَانْسٍ وشَهَادَةَ الدُّكْتُورَاهْ مِنْ فِرَنْسَا(٢٨).

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: بَيْنَ مَدْكُورٍ وتْرُوبُوَ

سَاقَ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ بَيُّومِي مَدْكُورٌ - فِي تَأْيِيدِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ التَّأَثُّرِ - حُجَجًا تَتَبَّعَ «جِيرَارْ تْرُوبُو» أَكْثَرَهَا بِالتَّفْنِيدِ، وإِلَيْكَ كُلَّ حُجَّةٍ مِمَّا اسْتَنَدَ إِلَيْهِ مَتْبُوعَةً بِجَوَابِ ترُوبُوَ.

الحُجَّةُ الأُولَى: التَّقْسِيمُ الثُّلَاثِيُّ:

يَرَى مَدْكُورٌ فِي مُقَارَنَتِهِ بَيْنَ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ وكِتَابِ أَرِسْطُوَ «الأُرْجَانُونِ» أَنَّ سِيبَوَيْهِ حَاكَى التَّقْسِيمَ الأَرِسْطِيَّ فِي «التَّقْسِيمِ الثُّلَاثِيِّ» ؛ حَيْثُ جَعَلَ الكَلَامَ اسْمًا وفِعْلًا وحَرْفًا، وحَاكَى فِي التَّعْرِيفِ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا التَّعْرِيفَ الأَرِسْطِيَّ مِنْ بَعْضِ النَّوَاحِي، فَكَانَ ذَلِكَ لَدَيْهِ دَلِيلًا عَلَى التَّأَثُّرِ(٢٩)، وَهُوَ بِهَذَا يُفَسِّرُ قَوْلَ جُرْجِي زَيْدَانَ: «وأَقْسَامُ الكَلَامِ فِي العَرَبِيَّةِ هِيَ نَفْسُ أَقْسَامِهِ فِي السِّرْيَانِيَّةِ»(٣٠) ؛ فَإِنَّ السِّرْيَانَ عَلَى - مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ - وَضَعُوا نَحْوَهُمْ عَلَى النَّحْوِ اليُونَانِيِّ.

---

(٢٨) موسوعة ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨A%٥D%٨A%٨D%٨B%١D%٨A%٧D%٨٧%٩D٨%٩A%D٨٥%٩_%D%٨٥%٩D%٨AF%D%٨٣%٩D%٨٨%٩D%٨B١

(٢٩) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤٠.

(٣٠) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الهلال – مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف) ١ / ٢٢١.

*** جَوَابُ تْرُوبُوَ:**

عَرَضَ «جِيرَارْ تْرُوبُو» هَذِهِ الحُجَّةَ، وزَادَ فِي حُجَّة مَدْكُورٍ - فَوْقَ مَا ذَكَرَهُ مِنِ اقْتِبَاسِ تَقْسِيمِ الكَلَامِ الثُّلَاثِيِّ - اقْتِبَاسَ النُّحَاةِ مُصْطَلَحَاتٍ أَرْبَعَةً، وَهِيَ الإِعْرَابُ، والصَّرْفُ، والتَّصْرِيفُ، والحَرَكَةُ، ثُمَّ نَاقَشَ ذَلِكَ فِي مَقَامَيْنِ:

المَقَامُ الأَوَّلُ:

نَاقَشَ فِيهِ تَقْسِيمَ الكَلَامِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ لُغَةٍ، ولَكِنَّ تَقْسِيمَ اليُونَانِ يَفْتَرِقُ عَنْ تَقْسِيمِ العَرَبِ، فَاليُونَانُ -حَسْبَ مَا قَالَ أَرِسْطُو فِي الشِّعْرِ - قَسَمُوا الكَلَامَ ثَمَانِيَةً، وَهِيَ: الحَرْفُ، والمَجْمُوعُ، والرِّبَاطُ، والفَاصِلَةُ، والِاسْمُ، والكَلِمَةُ، والوَقْعَةُ، والقَوْلُ، والعَرَبُ -حَسْبَ مَا فَعَلَ سِيبَوَيْهِ - قَسَمُوهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، وَهِيَ: الِاسْمُ، والفِعْلُ، والحَرْفُ[٣١]، ثُمَّ أَنْشَأَ يُقَارِنُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الكَلَامِ، فَرَأَى أَنَّ قِسْمَ الحَرْفِ اليُونَانِيِّ لَا مُقَابِلَ لَهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ حُرُوفَ الهِجَاءِ قِسْمًا مُسْتَقِلًا فِي تَقْسِيمِهِ كَأَرِسْطُو، وكَذَا قِسْمُ المَجْمُوعِ اليُونَانِيِّ لَا مُقَابِلَ لَهُ فِي النِّظَامِ العَرَبِيِّ، لِأَنَّ مَفْهُومَ المَجْمُوعِ -المُرَكَّبِ مِنْ حُرُوفٍ غَيْرِ مُصَوِّتٍ، وحَرْفٍ مُصَوِّتٍ - مَفْهُومٌ صَوْتِيٌّ يَخْتَلِفُ عَنْ مَفْهُومِ الحَرْفِ السَّاكِنِ والحَرْفِ المُتَحَرِّكِ الَّذِي عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وأَمَّا قِسْمُ الرِّبَاطِ؛ فَيُقَابِلُهُ جُزْءٌ مِنْ قِسْمِ الحَرْفِ العَرَبِيِّ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمَا؛ فَإِنَّ الرِّبَاطَ الأَرِسْطِيَّ خَالٍ مِنْ مَعْنًى، وأَمَّا الحَرْفُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ فَلَهُ مَعْنًى، وأَمَّا قِسْمُ الفَاصِلَةِ فِي المَنْطِقِ؛ فَيُقَابِلُهُ آلَةُ التَّعْرِيفِ والِاسْمُ المَوْصُولُ، لَكِنَّهُمَا عِنْدَ أَرِسْطُو خَالِيَانِ مِنْ مَعْنًى؛ والمَوْصُولُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ اسْمٌ غَيْرُ تَامٍّ، يَحْتَاجُ إِلَى صِلَةٍ، فَيَدْخُلُ فِي قِسْمِ الِاسْمِ، وأَمَّا آلَةُ التَّعْرِيفِ عِنْدَهُ فَحَرْفٌ لَهُ مَعْنًى، فَيَدْخُلُ فِي قِسْمِ الحَرْفِ، وأَمَّا قِسْمُ الوَقْعَةِ فِي

---

(٣١) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ - ١٩٧٨ م) ص ١٢٦.

المَنْطِقُ ؛ فَيُرَادُ بِهِ مَا يَحْدُثُ فِي آخِرِ الِاسْمِ أَوِ الفِعْلِ، فَلَا مُقَابِلَ لَهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وقِسْمُ القَوْلِ فِي المَنْطِقِ مُرَكَّبٌ مِنْ أَلْفَاظٍ لَهَا مَعْنًى، لَيْسَ لَهُ مَا يُقَابِلُهُ فِي النِّظَامِ العَرَبِيِّ، لِأَنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَجْعَلْ مِنَ القَوْلِ قِسْمًا مُسْتَقِلًّا فِي تَقْسِيمِهِ[٣٢]، قَالَ: «فَمِنَ النَّاحِيَةِ اللِّسَانِيَّةِ يَظْهَرُ لَنَا أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ التَّقْسِيمُ العَرَبِيُّ مَنْقُولًا مِنَ التَّقْسِيمِ اليُونَانِيِّ ؛ لِأَنَّ عَدَدَ الأَقْسَامِ ومَضْمُونَهَا يَخْتَلِفُ فِي النِّظَامَيْنِ اخْتِلَافًا تَامًّا»[٣٣].

والجَوَابُ: أَنَّا -فِي الوَاقِعِ - لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى نَفْيِ اعْتِمَادِ النَّحْوِيِّينَ عَلَى المَنْطِقِ والفَلْسَفَةِ أَوْ عَلَى أَنْظِمَةٍ أُخْرَى غَرِيبَةٍ عَنْهُمْ، ولَا أَنْ نُبَرْهِنَ عَلَى نَفْيِ التَّقْسِيمِ الثُّلَاثِيِّ لِلْكَلَامِ لَدَى أَرِسْطُو، وعَلَى نَفْيِ أَنْ يَكُونَ أَرِسْطُو أَرَادَ بِـ «المَوْضُوعِ» و«المَحْمُولِ عَلَيْهِ»: المُبْتَدَأَ والخَبَرَ؛ حَتَّى نَسْلَمَ مِنْ دَعْوَى مُثْبِتِي التَّأَثُّرِ؛ لِأَنَّ تَكَلُّفَ إِيجَادِ فَارِقٍ بَيْنَ مَا تَشْتَرِكُ فِيهِ اللُّغَاتُ لَا بُدَّ أَنْ يُوقِعَ فِي حَرَجٍ تَامٍّ الأَجْزَاءِ، فَإِنَّ المُخَالِفَ سَيَظَلُّ مُنْتَظِرًا لِأَنْ تَنْفِيَ كُلَّ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ بَيْنَ النِّظَامَيْنِ، وهَذَا عَوْمٌ تُجَاهَ وَجْهِ الرِّيحِ، ولَنْ يُغْنِيَكَ شَيْئًا أَنْ تَصِفَ ذَلِكَ الِاتِّفَاقَ بِمَا سَمَّاهُ الحَاجُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ تَشَابُهًا سَطْحِيًا، وتَوَارُدَ أَفْكَارٍ، ولَا أَنْ تُرَدِّدَ قَوْلَهُ: «لَا بُدَّ مِنْ مُشَابَهَةٍ عَمِيقَةٍ عَرِيقَةٍ بَيْنَ المِنْهَاجَيْنِ حَتَّى تَثْبُتَ القَرَابَةُ»[٣٤] ؛ فَإِنَّ العَقْلَ يَقْتَضِي الِاتِّفَاقَ فِي أَكْثَرِ تَوْصِيفِ اللُّغَةِ ؛ فَهَلْ يَرِدُ فِي الأَذْهَانِ

---

(٣٢) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١- ١٩٧٨م) ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣٣) المرجع السابق / ١٢٧ - ١٢٨.

(٣٤) دليلة مازوز، الأحكام النحوية بين النحاة و علماء الدلالة دراسة تحليلية نقدية / ٥٨ - ٥٩، نقلا عن مقال له بعنوان «النحو العربي ومنطق أرسطو»، نشره في مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد ١-١٩٦٤م، ص٧٢، وقد جهدت في الوصول إليها، فلم أنجح.

أَنْ تَخْلُوَ لُغَةٌ مِنَ الْمُبْتَدَأِ والخَبَرِ، ومِنَ الفِعْلِ والفَاعِلِ والمَفْعُولِ، ومِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا مَحِيدَ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي خِطَابِهِ ؟[٣٥].

ومَا دَامَ الكَلَامُ جَارِيًا عَلَى مَبْدَأِ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَ حُجَّتَيْ الْمُخْتَلِفَيْنِ ؛ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِمَا، ومُنَاقَشَتِهِمَا مُنَاقَشَةَ تَحْلِيلٍ ؛ فَهَذِهِ الْمُقَارَنَةُ مِنْ «جِيرَارْ تْرُوبُو» -وإِنْ كَانَ يَمِيلُ إِلَيْهَا الهَوَى مِنْ جَانِبِي - يَأْبَاهَا النَّظَرُ تَمَامًا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَا نَقَلَهُ عَنْ أَرِسْطُو حَقًّا ؛ لَكَانَ الجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يُتَكَلَّفَ، وذَلِكَ أَنَّ الحَرْفَ -سَوَاءٌ جَعَلَهُ سِيبَوَيْهِ مِنْ أَقْسَامِ الكَلَامِ أَوْ لَمْ يَجْعَلْهُ - لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ مُعْتَبَرًا فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ ؛ فَإِنَّهُ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِحَرْفِ البِنَاءِ، فَكَيْفَ وأَرِسْطُو لَمْ يُصَرِّحْ بِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي النَّحْوِ، وإِنَّمَا ذَكَرَهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ أُمُورِ اللُّغَةِ -مِنْ نَحْوٍ، ودَلَالَةٍ، وصَوْتٍ[٣٦] -؟

وأَمَّا قِسْمُ الْمَجْمُوعِ عِنْدَ أَرِسْطُو ؛ فَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي «فَنِّ الشِّعْرِ» بِاسْمِ «المَقْطَعِ»، وكَانَ حَدِيثُهُ عَنْهُ حَدِيثًا صَوْتِيًّا بَحْتًا، لَا نَحْوِيًّا، ولِهَذَا مَثَّلَ لَهُ بِنَحْوِ «جَرْ»، ثُمَّ قَالَ: «ولَكِنَّ تَقَصِّيَ مِثْلِ هَذِهِ الفُرُوقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالمَقْطَعِ إِنَّمَا هُوَ -أَيْضًا - مِنْ شَأْنِ عِلْمِ الأَوْزَانِ»[٣٧]، وقَدْ صَرَّحَ «جِيرَارْ تْرُوبُو» بِأَنَّهُ مَبْحَثٌ صَوْتِيٌّ، فَلَا أَدْرِي لِمَ افْتَرَضَ أَنَّ أَرِسْطُو جَعَلَهُ فِي قِسْمِ النَّحْوِ؟!

وأَمَّا الرِّبَاطُ فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ مُقَابِلًا جُزْئِيًّا، وهَذَا كَافٍ فِي الِاعْتِبَارِ لَوْ قَنِعْنَا أَنَّ التَّقَابُلَ جُزْئِيٌّ، لَكِنَّ دُونَ القَنَاعَةِ بِهِ بَوْنًا ؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ حَرْفُ المَعْنَى، وقَدْ مَرَّ تَفْصِيلُهُ.

---

(٣٥) يقول «جِيرْ هَارْدُ»: «لقد بحث بعض المستشرقين عن آثار علوم المنطق والنحو الإغريقي والسرياني في النحو العربي، فلم يجدوا إلا شيئا يسيرا من اصطلاح موافق، وموازاة مصادفة عرضية».
المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / مجلة تاريخ العلوم العربية ١٩٧٧م(مجلد ١، عدد ٢) ص / ١٠٧.

(٣٦) ينظر: فن الشعر لأرسطو (ترجمة د. إبراهيم حمادة – طبعة الأنجلو المصرية) / ١٨٠ – ١٨٣.

(٣٧) فن الشعر / ١٨١.

وأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ الفَاصِلَةَ فِي المَنْطِقِ يُقَابِلُهَا آلَةُ التَّعْرِيفِ والِاسْمُ المَوْصُولُ، لَكِنْ تُفَارِقُهُمَا فِي أَنَّهَا لَا مَعْنَى لَهَا ؛ فَكَلَامٌ غَيْرُ مُحَقَّقٍ ؛ لِأَنَّ المَوْصُولَ وآلَةَ التَّعْرِيفِ فِي العَرَبِيَّةِ -أَيْضًا - لَا تَدُلَّانِ عَلَى مَعْنًى فِي ذَوَاتِهِمَا ؛ وإِنَّمَا فِي غَيْرِهِمَا، وإِلَّا لَاسْتُغْنِيَ بِهِمَا.

وأَمَّا الوَقْعَةُ فِي المَنْطِقِ ؛ فَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا أَرِسْطُو فِي «فَنِّ الشِّعْرِ» جُزْءًا مِنَ التَّصْرِيفِ، وأَرَادَ بِهَا النَّبْرَ فِي الِاسْمِ والفِعْلِ، قَالَ: «والتَّصْرِيفُ يَتَعَلَّقُ بِالِاسمِ، كَمَا يَتَعَلَّقُ بِالفِعْلِ، ويَدُلُّ عَلَى العَلَاقَةِ.. أَوْ عَلَى العَدَدِ.. أَوْ عَلَى طَرِيقَةِ - أَوْ نَغْمَةِ - النُّطْقِ فِي الإِلْقَاءِ، كَالسُّؤَالِ.. أَوْ كَالأَمْرِ.. وهَاتَانِ حَالَتَانِ مِنْ تَصْرِيفِ الفِعْلِ فِي هَذَا الشَّكْلِ الأَخِيرِ، أَيْ: بِالنُّطْقِ»[٣٨]، فَحَدِيثُهُ عَنِ الوَقْعَةِ إِذَنْ صَوْتِيٌّ، لَا نَحْوِيٌّ.

وأَمَّا القَوْلُ فَيُقَابِلُهُ فِي العَرَبِيَّةِ الكَلَامُ ؛ فَإِنَّهُ عِنْدَ العَرَبِ -أَيْضًا - مُرَكَّبٌ مِنْ أَلْفَاظٍ لَهَا مَعْنًى، وكُلُّ هَذَا مِمَّا لَا خَفَاءَ بِهِ، ولَا يُمْكِنُ نَفْيُ التَّوَافُقِ لِمُجَرَّدِ أَنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَجْعَلْ تِلْكَ الأَقْسَامَ دَاخِلَةً فِي تَقْسِيمِ الكَلَامِ.

فَلَسْتُ أَرَى تِلْكَ المُقَارَنَةَ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ التَّكَلُّفِ البَيِّنِ، لَا بُدَّ أَنْ يَمْتَطِيَهُ المُخَالِفُ لِإِضْعَافِ القَوْلِ بِرُمَّتِهِ ؛ أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: «أَمَّا قِسْمُ الِاسْمِ اليُونَانِيِّ فَإِنَّهُ يُقَابِلُ قِسْمَ الِاسْمِ العَرَبِيِّ، غَيْرَ أَنَّنَا نَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ القِسْمَيْنِ ؛ لِأَنَّ الِاسْمَ عِنْدَ أَرِسْطُو لَفْظٌ لَهُ مَعْنًى يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ، بَيْدَ أَنَّ الِاسْمَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ لَفْظٌ يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ، فَهُوَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِعَيْنِهِ»[٣٩]، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنَّ الِاسْمَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ هُوَ المُسَمَّى ؟

---

(٣٨) فن الشعر / ١٨٢.

(٣٩) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ – ١٩٧٨م) ص ١٢٧.

ولَيْسَ بَعِيدًا عَنْ هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُسْتَشْرِقُ الآخَرُ «جِيرْ هَارْدُ» ؛ فَإِنَّهُ أَرَادَ نَفْيَ التَّأَثُّرِ، فَرَأَى تَقْسِيمَ سِيبَوَيْهِ الثُّلَاثِيَّ مُتَّفِقًا مَعَ تَقْسِيمِ الْمَنْطِقِيِّينَ، فَجَنَحَ إِلَى التَّفْرِيقِ مِنْ جِهَةِ الْمُصْطَلَحِ ؛ إِذْ يَكْفِي -فِي رَأْيِهِ - أَنْ تَكُونَ مُصْطَلَحَاتُ هَؤُلَاءِ تَخْتَلِفُ عَنْ مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيِّينَ[٤٠]، مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ القَضِيَّةَ لَيْسَتْ قَضِيَّةَ مُصْطَلَحٍ، فَلَوْ كَانَ التَّقْسِيمُ يَصْلُحُ لِلُغَةٍ دُونَ لُغَةٍ لَمَا أَغْنَى التَّفْرِيقُ بِالْمُصْطَلَحِ ؛ إِذْ تَغْيِيرُ الِاسْمِ لَا يُغَيِّرُ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ.

ثُمَّ قَالَ «جِيرَارْ تْرُوبُو» : «وكَذَلِكَ يُقَابِلُ قِسْمُ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ قِسْمَ الفِعْلِ العَرَبِيِّ.. غَيْرَ أَنَّنَا نَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ القِسْمَيْنِ ؛ لِأَنَّ الصِّيغَةَ غَيْرَ الْمُبَيِّنَةِ aparemphatos مُضَمِّنَةٌ فِي قِسْمِ الكَلِمَةِ اليُونَانِيِّ، بَيْدَ أَنَّ المَصْدَرَ مُضَمِّنٌ فِي قِسْمِ الِاسْمِ العَرَبِيِّ، كَمَا أَنَّ الصِّيغَةَ الْمُشْتَرَكَةَ metochikon مُضَمِّنَةٌ فِي قِسْمَيْ الِاسْمِ والكَلِمَةِ مَعًا فِي النِّظَامِ اليُونَانِيِّ، بَيْدَ أَنَّ اسْمَ الفَاعِلِ مُضَمِّنٌ فِي قِسْمِ الِاسْمِ فَقَطْ فِي النِّظَامِ العَرَبِيِّ»[٤١]، أَفَيَخْفَى أَنَّ الِاخْتِلَافَ فِي تَعْرِيفِ الِاسْمِ لَا يُغَيِّرُ الحَقَائِقَ ؟ وأَنَّ المَصْدَرَ واسْمَ الفَاعِلِ فِي العَرَبِيَّةِ فِيهِمَا مَعْنَى الِاسْمِ ومَعْنَى الفِعْلَ؟

ثُمَّ إِنَّ نَظْرَةً فِي كِتَابِ «فَنِّ الشِّعْرِ» لِأَرِسْطُو كَافِيَةٌ فِي رَدِّ كُلِّ مَا فَرَّقَ بِهِ ؛ فَإِنَّ أَرِسْطُوَ قَالَ عَنِ الحَرْفِ: «والحَرْفُ الهِجَائِيُّ هُوَ صَوْتٌ غَيْرُ قَابِلٍ لِلتَّجَزُّءِ، ولَيْسَ كُلُّ

---

(٤٠) المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / مجلة تاريخ العلوم العربية ١٩٧٧م(مجلد ١، عدد ٢) ص / ١٠٧.

(٤١) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ – ١٩٧٨م) ص ١٢٧ – ١٢٨.

صَوْتٍ حَرْفًا هِجَائِيًّا.. والحَرْفُ إِمَّا صَائِتٌ، أَوْ نِصْفُ صَائِتٍ، أَوْ صَامِتٌ»[٤٢]، فَهُوَ فِي هَذَا يَشْرَحُ حَرْفَ البِنَاءِ.

ثُمَّ مَيَّزَ حَرْفَ المَعْنَى بِأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي ذَاتِهِ، فَقَالَ: «وأَدَاةُ الرَّبْطِ عِبَارَةٌ عَنْ صَوْتٍ بِلَا دَلَالَةٍ أَوْ مَعْنًى»[٤٣].

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي غَيْرِهِ بِقَوْلِهِ: «ولَا يَمْنَعُ مِنْ تَأْلِيفِ صَوْتٍ وَاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ أَصْوَاتٍ، ويَكُونُ لَهُ مَعْنًى »[٤٤].

ثُمَّ بَيَّنَ افْتِقَارَهُ إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ فَقَالَ: «وهَذِهِ الأَدَاةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ صَحِيحَةً بِذَاتِهَا فِي بِدَايَةِ عِبَارَةٍ أَوْ جُمْلَةٍ»[٤٥].

وأَمَّا الِاسْمُ فَشَرَحَهُ: بِأَنَّهُ صَوْتٌ لَهُ مَعْنًى، وأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى زَمَنٍ، وأَنَّ أَجْزَاءَهُ أَحْرُفُ بِنَاءٍ لَا تُفِيدُ مَعْنًى عِنْدَ انْفِصَالِهَا، قَالَ: «والِاسْمُ: صَوْتٌ دَالٌّ، مُرَكَّبٌ مِنْ أَصْوَاتٍ، ولَا يَدُلُّ عَلَى الزَّمَنِ، والجُزْءُ مِنْهُ إِذَا انْفَصَلَ لَا يُفِيدُ مَعْنًى بِذَاتِهِ»[٤٦].

وهَلْ هَذَا إِلَّا مِثْلُ قَوْلِنَا فِي العَرَبِيَّةِ: إِنَّ كَلِمَةَ «زَيْدٍ» دَالَّةٌ عَلَى إِنْسَانٍ ذَكَرٍ مُعَيَّنٍ، مِنْ غَيْرِ دَلَالَةٍ عَلَى زَمَنٍ، وإِنَّ الزَّايَ واليَاءَ والدَّالَ مُفْرَدَاتٌ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى ؟

وأَمَّا الفِعْلُ فَجَعَلَهُ دَالًّا عَلَى مَعْنًى(=حَدَثٍ) وعَلَى زَمَنٍ، قَالَ: «والفِعْلُ: صَوْتٌ مُرَكَّبٌ، لَهُ دَلَالَةٌ، ويَدُلُّ عَلَى الزَّمَنِ»[٤٧].

---

(٤٢) فن الشعر / ١٨٠.

(٤٣)فن الشعر /١٨٠.

(٤٤) المصدر السابق / ١٨٠.

(٤٥) المصدر السابق / ١٨٠.

(٤٦) المصدر السابق / ١٨٢.

(٤٧)فن الشعر / ١٨٢.

وعَرَّفَ الجُمْلَةَ بِأَنَّهَا دَالَّةٌ بِمَجْمُوعِهَا عَلَى مَعْنًى، وأَنَّ الجُزْءَ مِنْهَا دَالٌّ عَلَى مَعْنًى آخَرَ، قَالَ: «والعِبَارَةُ - أَوِ الجُمْلَةُ -: صَوْتٌ مُرَكَّبٌ، دَالٌّ عَلَى مَعْنًى، وبَعْضُ أَجْزَائِهِ لَهُ مَعْنًى أَوْ دَلَالَةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ»(٤٨).

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهَا تَتَرَكَّبُ إِمَّا مِنْ فِعْلٍ واسْمٍ، وإِمَّا مِنِ اسْمَيْنِ، قَالَ: «إِنَّ العِبَارَةَ لَيْسَتْ دَائِمًا تَتَأَلَّفُ مِنِ اسْمٍ وفِعْلٍ، لَأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَجِيءَ دُونَ فِعْلٍ، مِثْلُ تَعْرِيفِ الإِنْسَانِ»(٤٩).

أَوَلَيْسَ هَذَا النِّظَامُ مُقَرَّرًا فِي العَرَبِيَّةِ ؟ أَلَيْسَتِ الجُمْلَةُ العَرَبِيَّةُ إِمَّا فِعْلِيَّةً وإِمَّا اسْمِيَّةً ؟ أَوَلَيْسَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ جُزْأَيِ الجُمْلَةِ يُؤَدِّي حَالَ تَرَكُّبِهِ مَعَ غَيْرِهِ مَعْنًى زَائِدًا عَلَى مَعْنَاهُ مُسْتَقِلًّا ؟ أَلَسْنَا نَقُولُ: إِنَّ «جَرَى» فِي نَحْوِ: «جَرَى مِنِّي الكَلَامُ» غَيْرُهُ فِي نَحْوِ: «جَرَى زَيْدٌ»، وفِي نَحْوِ: «جَرَى النَّهْرُ» ؟ أَوَلَا تَرَى أَنَّا نَقُولُ: إِنَّ المُبْتَدَأَ يُؤَدِّي مَعْنًى فِي ذَاتِهِ، فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ الخَبَرِ أَدَّى مَعْنًى آخَرَ ؟

ولَيْسَ الغَرَضُ مِنْ إِثْبَاتِ التَّوَافُقِ بَيْنَ نَحْوِ العَرَبِ ومَنْطِقِ اليُونَانِ تَأْيِيدَ القَوْلِ بِالتَّأَثُّرِ، وإِنَّمَا الغَرَضُ أَنَّ هَذَا مِمَّا تَتَّفِقُ فِيهِ اللُّغَاتُ، ولَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ، وأَمَّا تَكَلُّفُ التَّفْرِيقِ بِجَعْلِ الِاخْتِلَافِ فِي العَدَدِ وتِلْكَ الفُرُوقِ الوَاهِيَةِ -الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا - سَبَبًا فِي اسْتِحَالَةِ تَأَثُّرِ النَّحْوِ بِالمَنْطِقِ، ونِسْبَةُ هَذَا التَّحْلِيلِ السَّطْحِيِّ إِلَى الدِّرَاسَةِ اللِّسَانِيَةِ؛ فَضَرْبٌ مِنَ التَّعَسُّفِ.

المَقَامُ الثَّانِي:

نَاقَشَ فِيهِ مُصْطَلَحَ الإِعْرَابِ، والحَرَكَةِ، فَقَالَ: «يَزْعُمُ أَتْبَاعُ التَّأْثِيرِ اليُونَانِيِّ أَنَّ كَلِمَةَ «الإِعْرَابِ» نُقِلَتْ مِنَ الكَلِمَةِ اليُونَانِيَّةِ hellenismos، مَا مَعْنَى هَذِهِ الكَلِمَةِ فِي

---

(٤٨) المصدر السابق / ١٨٢.

(٤٩) المصدر السابق / ١٨٢.

أَصْلِ اللُّغَةِ اليُونَانِيَّةِ ؟ hellenismos : اسمُ فِعلٍ يُونَانِيٌّ تَعْرِيبُهُ : هَلَّنَ شَيْئًا تَهْلِينًا ، أَيْ : صَيَّرَهُ هِلِّينِيًّا ، قَالَ أَرِسْطُو - فِي كِتَابِهِ فِي «الخِطَابَةِ» - : إِنَّ أَصْلَ الكَلَامِ هُوَ الوَجْهُ الهِلِّينِيُّ فِي التَّكَلُّمِ.. ويَرَى فَيْلَسُوفٌ رُوَاقِيٌّ أَنَّ الهِلِّينَ هُوَ التَّكَلُّمُ الصَّحِيحُ عَلَى وَجْهِ الصِّنَاعَةِ ، لَا عَلَى وَجْهِ العَامَّةِ»(٥٠).

قَالَ «فَنُلَاحِظُ أَنَّ الكَلِمَةَ hellenismos كَلِمَةٌ عَامَّةٌ تَخْتَصُّ بِالكَلَامِ بِرُمَّتِهِ ؛ فَإِنَّهَا اصْطِلَاحٌ خِطَابِيٌّ ، ولَيْسَ بِاصْطِلَاحٍ نَحْوِيٍّ.. والإِعْرَابُ عِنْدَ سِيبوَيْهِ نَقِيضُ البِنَاءِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ التَّغَيُّرِ فِي آخِرِ الكَلِمَةِ ، فَنُلَاحِظُ أَنَّ الإِعْرَابَ كَلِمَةٌ تَخْتَصُّ بِبَعْضِ الكَلِمَاتِ فَقَطْ فِي الكَلَامِ ، فَإِنَّهَا اصْطِلَاحٌ نَحْوِيٌّ ، ولَيْسَتْ بِاصْطِلَاحٍ خِطَابِيٍّ»(٥١).

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الحَدِيثِ عَنِ الحَرَكَةِ ؛ فَقَالَ : «نُلَاحِظُ أَوَّلًا أَنَّ مَفْهُومَ التَّحْرِيكِ فِي النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ العَرَبِيِّ لَا يَتَّفِقُ أَبَدًا ومَفْهُومَ التَّصْوِيتِ فِي النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ اليُونَانِيِّ ؛ فَإِنَّ أَرِسْطُو يَقْسِمُ الحُرُوفَ إِلَى مُصَوِّتَةٍ ونِصْفِ مُصَوَّتَةٍ وغَيْرِ مُصَوَّتَةٍ ، بَيْدَ أَنَّ سِيبَوَيْهِ يَقْسِمُ الحُرُوفَ إِلَى مُتَحَرِّكَةٍ وسَاكِنَةٍ»(٥٢).

والجَوَابُ : أَنَّا إِذَا تَجَاوَزْنَا تَفْرِيقَهُ الجَيِّدَ بَيْنَ الإِعْرَابِ والهِلِّينِ إِلَى حَدِيثِهِ عَنِ الحَرَكَةِ ؛ لَمْ يَسَعْنَا إِلَّا أَنْ نَقُولَ : إِنَّ المُقَارَنَةَ بَيْنَ مَبْحَثٍ صَوْتِيٍّ ومَبْحَثٍ نَحْوِيٍّ مُقَارَنَةٌ بَائِسَةٌ ، لَا يَجِبُ الوُقُوفُ عِنْدَهَا ؛ فَإِنَّ إِغْفَالَهَا حَرِيٌّ بِالجَوَابِ عَنْ وَهْيِهَا ، ولَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ القَارِئِينَ لَا يَغْتَنُونَ بِاللَّمْحِ ، وهَذِهِ حَالٌ تَدْعُو إِلَى بَسْطِ الجَوَابِ لِدَفْعِ رِيبَةٍ قَدْ تَعْلَقُ ،

---

(٥٠) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ - ١٩٧٨م) ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٥١) المصدر السابق / ١٢٩.

(٥٢) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ - ١٩٧٨م) ص ١٣١.

وأَقْرَبُ مَا يُمْكِنُ الجَوَابُ بِهِ أَنَّ سِيبَوَيْهِ بَحَثَ فِي الأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ، والأَصْوَاتِ الصَّائِتَةِ دُونَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا بِهَذَا الِاصْطِلَاحِ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ الحُرُوفَ إِمَّا أَحْرُفَ عِلَّةٍ - وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى صَوَائِتَ - وإِمَّا حُرُوفًا صَحِيحَةً - وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى صَوَامِتَ - ثُمَّ ذَكَرَ قِسْمًا ثَالِثًا، وَهُوَ مَا يَكُونُ نِصْفَ حَرْفِ العِلَّةِ، وأَرَادَ بِهَا الحَرَكَاتِ - وهِيَ الَّتِي يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالأَصْوَاتِ القَصِيرَةِ - قَالَ عَنْ الصَّوَائِتِ: «وحُرُوفُ اللِّينِ هِيَ حُرُوفُ المَدِّ الَّتِي يُمَدُّ بِهَا الصَّوْتُ، وتِلْكَ الحُرُوفُ: الأَلِفُ، والوَاوُ، واليَاءُ»[٥٣]، وقَالَ عَنْهَا: «ومَخَارِجُهَا مُتَّسِعَةٌ لِهَوَاءِ الصَّوْتِ»[٥٤]، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَا عَدَا تِلْكَ الأَحْرُفِ تُخَالِفُهَا فِي الصَّوْتِ، قَالَ: «ولَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الحُرُوفِ أَوْسَعَ مَخَارِجَ مِنْهَا، ولَا أَمَدَّ لِلصَّوْتِ»[٥٥]، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَكُونُ بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الأَصْوَاتِ، قَالَ: لِأَنَّ الفَتْحَةَ مِنَ الأَلِفِ»[٥٦]، وقال: «وحَرَكَتُهُ الفَتْحَةُ؛ لِأَنَّهُ يَلِي الحَرْفَ الَّذِي مِنْهُ الفَتْحَةُ، وَهُوَ الأَلِفُ»[٥٧]، فَكَيْفَ يُقَرِّرُ ترُوبُو أَنَّ تَقْسِيمَ الحُرُوفِ إِلَى مُصَوّتَةٍ ونِصْفِ مُصَوَّتَةٍ وغَيْرِ مُصَوَّتَةٍ خَاصٌّ بِأَرِسْطُو دُونَ سِيبَوَيْهِ؟

الحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: تَرْجُمَةُ كُتُبِ أَرِسْطُوَ:

يَرَى الدُّكْتُورُ مَدْكُورٌ أَنَّ تَرْجُمَةَ كُتُبِ أَرِسْطُوَ الثَّلَاثَةِ(المَقُولَاتِ، والعِبَارَةِ، وأَنَالُو طِيقَا الأُولَى -التَّحَالِيلِ -) إِلَى العَرَبِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ مِنْ قِبَلِ

(٥٣) الكتاب ٣ / ٤٢٦.
(٥٤) المصدر السابق ٤ / ١٧٦.
(٥٥) الكتاب ٤ / ١٧٦.
(٥٦) المصدر السابق ٤ / ١٤٢.
(٥٧) المصدر السابق ٢ / ٢٦٥.

عَبْدِ اللهِ بنِ المُقَفَّعِ أَوِ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ عَنِ السِّرْيَانِيَّةِ - لَا بُدَّ أَنَّهَا قُوبِلَتْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ تَقْدِيرٍ(٥٨).

* **جَوَابُ تْرُوبُوَ:**

لَمْ يَذْكُرْ مَدْكُورٌ لِدَعْوَاهُ هَذِهِ مُسْتَنَدًا؛ وأَمَّا «لَا بُدَّ» وأَخَوَاتُهَا فَإِنَّمَا تُقَالُ فِي الخُطَبِ، لَا فِي التَّحْقِيقِ العِلْمِيِّ، لَكِنَّ تروبُوَ لَمْ يُنَاقِشْهُ فِي مُسْتَنَدِ التَّأَثُّرِ، وإِنَّمَا نَفَى أَنْ تَكُونَ كُتُبُ أَرِسْطُوَ نُقِلَتْ إِلَى العَرَبِيَّةِ قَبْلَ القَرْنِ الثَّالِثِ، فَقَدْ قَرَّرَ أَنَّ النُّحَاةَ القُدَامَى لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَعْرِفُوا المَنْطِقَ اليُونَانِيَّ فِي القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ[ق٨م] لِأَنَّ تَآلِيفَ أَرِسْطُوَ لَمْ تُنْقَلْ بَعْدُ إِلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ؛ فَإِنَّ كِتَابَيْ «العِبَارَةِ» و «المَقُولَاتِ» لَمْ يُتَرجَما إِلَّا فِي القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ[ق٩م] عَلَى يَدِ حُنَيْنِ بنِ إِسْحَاقَ، ولَمْ يُتَرْجَمْ كِتَابُ «الشِّعْرِ» إِلَّا فِي القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ[ق١٠م] عَلَى يَدِ مَتَّى بنِ يُونُسَ(٥٩).

ولَا يَكْتَفِي تروبُو بِهذَا النَّفْيِ؛ بَلْ شَرَعَ فِي بَيَانِ اسْتِغْنَاءِ لُغَةِ العَرَبِ عَنْ تِلْكَ التَّرْجُمَاتِ مِنَ النَّاحِيَةِ المَنْهَجِيَّةِ؛ فَلَيْسَ سِيبَوَيْهِ - فِيمَا يَرَى - بِحَاجَةٍ إِلَى عَشْرِ مُصْطَلَحَاتٍ مَنْطِقِيَّةٍ؛ لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ لُغَةَ العَرَبِ غَنِيَّةٌ جِدًّا بِالمُفْرَدَاتِ المُعَبِّرَةِ عَنِ المَعْنَى؛ فَلَا مُحْوِجَ لَهَا إِلَى مُصْطَلَحَاتِ لُغَةٍ أُخْرَى.

الثَّانِي: أَنَّهُ أَحْصَى مَا اسْتَعْمَلَهُ سِيبَوَيْهِ فِي لُغَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ المُفْرَدَاتِ المُعَبِّرَةِ، فَوَجَدَهَا أَلْفًا وثَمَانَمِائَةٍ وعِشْرِينَ، اسْتَعْمَلَ مِنْهَا فِي المَعْنَى العَامِّ -لَا فِي المَعْنَى الِاصْطِلَاحِيِّ - مِائَتَيْنِ وعِشْرِينَ فَقَطْ، واسْتَعْمَلَ البَاقِيَ إِمَّا فِي مَفَاهِيمَ نَحْوِيَّةٍ عَامَّةٍ

---

(٥٨) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤١.

(٥٩) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١- ١٩٧٨م) ص ١٣٣.

- كَأَقْسَامِ الكَلَامِ وأَنْوَاعِ الأَلْفَاظِ وأَحْوَالِهَا - وإِمَّا فِي تَرْكِيبِ الجُمَلِ، وإِمَّا فِي التَّصْرِيفِ، وإِمَّا فِي الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ، وإِمَّا فِي المِنْهَاجِ - أَيْ: فِي المَفَاهِيمِ المُفَسِّرَةِ والوَسَائِلِ المُوَضِّحَةِ - فَأَمَّا المُفْرَدَاتُ المِنْهَاجِيَّةُ فَهِيَ الأَكْثَرُ، وعَدَدُهَا سِتُّمِائَةٍ وخَمْسُونَ، يَلِيهَا فِي الكَثْرَةِ مُفْرَدَاتُ المَفَاهِيمِ العَامَّةِ، وعَدَدُهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وتِسْعُونَ، ثُمَّ مُفْرَدَاتُ التَّصْرِيفِ والظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ؛ فَإِنَّ عَدَدَ مُفْرَدَاتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ ثَلَاثُمِائَةٍ وعِشْرُونَ، ثُمَّ مُفْرَدَاتُ التَّرْكِيبِ، وعَدَدُهَا مِائَتَانِ وخَمْسُونَ[٦٠].

ثُمَّ قَالَ: «فَمِنَ البَيِّنِ أَنَّ عَدَدًا وَافِرًا مِنَ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ كَانَ تَحْتَ تَصَرُّفِ النُّحَاةِ العَرَبِ القُدَامَى؛ فَمِنَ المُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونُوا قَدِ احْتَاجُوا إِلَى اقْتِبَاسِ بِضْعَةٍ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ - يُونَانِيَّةً كَانَتْ أَمْ سِرْيَانِيَّةً - فَمَا تَعْنِي تِلْكَ العَشَرَةُ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ.. بِالنِّسْبَةِ إِلَى المِئَاتِ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ الَّتِي كَانَتْ مُتَنَاوَلَةً فِي لُغَتِهِمْ» ؟ ولَا سِيَّمَا «أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ المُصْطَلَحَاتِ جُزْءٌ مِنْ نِظَامٍ مُعَقَّدٍ لَيْسَ لَهُ مَعْنًى خَارِجًا عَنْ هَذَا النِّظَامِ»[٦١].

ثُمَّ خَتَمَ بَحْثَهُ بِجَوَابٍ عَنْ مَنْشَأِ المُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا سِيبَوَيْهِ، وحَاصِلُهُ: أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَاتِ سَابِقِيهِ، ولَمْ يَخْلُقْ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةً؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يُحَدِّدْ لَهُ مُصْطَلَحَاتٍ يَسْتَعْمِلُهَا؛ وأَنَّ مُعَاصِرِيهِ كَانُوا يَفْهَمُونَ تِلْكَ المُصْطَلَحَاتِ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ، لِاحْتِمَالِ أَنَّ سِيبَوَيْهِ اسْتَعْمَلَ المُصْطَلَحَاتِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ - مِنْ قِرَاءَاتٍ، وحَدِيثٍ، وفِقْهٍ، ونَحْوٍ - الَّتِي تَكَوَّنَتْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ - أَيْ: فِي نِصْفِ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ[ق٨م] - فِي البَصْرَةِ والكُوفَةِ، وعَضَدَ ذَلِكَ

---

(٦٠) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١-١٩٧٨م) ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٦١) المرجع السابق ص ١٣٦ - ١٣٧.

بِأَنَّ بَعْضَ العُلَمَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ عِلْمِ النَّحْوِ والعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، كَنَصْرِ بنِ عَاصِمٍ، ويَحْيَى بنِ يَعْمَرَ، والخَلِيلِ، وأَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ - الَّذِي كَانَ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا النَّحْوَ فَإِنَّهُ جَمَالٌ لِلْوَضِيعِ، وتَرْكُهُ هُجْنَةٌ لِلشَّرِيفِ» - وحَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ - الَّذِي كَانَ يَقُولُ: «مَنْ لَحَنَ فِي حَدِيثِي فَقَدْ كَذَبَ»، ويَقُولُ: «مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ الحَدِيثَ ولَا يَعْرِفُ النَّحْوَ ح مَثَلُ الحِمَارِ عَلَيْهِ مِخْلَاةٌ لَا شَعِيرَ فِيهَا» -[٦٢].

ومَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ إِلَى عَشْرِ مُصْطَلَحَاتٍ مَنْطِقِيَّةٍ لِوَفْرَةِ المُصْطَلَحَاتِ لَدَيْهِ؛ لَيْسَ جَوَابًا شَافِيًا، لِكَنَّهُ كَانَ فِي مُوَاجَهَةِ اسْتِدْلَالٍ يُشَابِهُهُ فِي الضَّعْفِ؛ وَهُوَ أَنَّ التَّرْجُمَاتِ لَا بُدَّ أَنَّهَا قُوبِلَتْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ تَقْدِيرٍ؛ إِذْ لَا يَخْرُجُ ذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ حَدْسًا، وإِنَّمَا الجَوَابُ الجَيِّدُ لِتُرُوبُوَ عَنْ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ مَا قَدَّمَهُ مِنْ أَنَّ كُتُبَ أَرِسْطُوَ لَمْ تُنْقَلْ إِلَى العَرَبِيَّةِ قَبْلَ القَرْنِ الثَّالِثِ.

الحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: تَأَثُّرُ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالنَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ:

يَرَى الدُّكْتُورُ مَدْكُورٌ أَنَّهُ مِنَ اليَسِيرِ أَنْ نَتَصَوَّرَ تَأَثُّرَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالنَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ الَّذِي تَمَّ وَضْعُهُ فِي القَرْنِ السَّادِسِ المِيلَادِيِّ بِمَدْرَسَةِ نَصِيبِينَ، وإِذَا ثَبَتَ لَدَيْهِ تَأَثُّرُ العَرَبِ بِالنَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ؛ اقْتَضَى ذَلِكَ ثُبُوتَ تَأَثُّرِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِاليُونَانِيِّينَ؛ لِأَنَّ النَّحْوَ السِّرْيَانِيَّ مُتَأَثِّرٌ بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ أَوْ مَنْطِقِ أَرِسْطُو[٦٣].

---

(٦٢) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١-١٩٧٨م) ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٦٣) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤١.

وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْظُرَ مُعَوَّلَهُ ؛ وَجَدْنَاهُ يُدْلِي بِأَمْرَيْنِ :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : أَنَّ يَعْقُوبَ الرُّهَاوِيَّ(٦٤) - أَحَدَ مَنْ وَضَعَ النَّحْوَ السِّرْيَانِيَّ - كَانَ مَعْرُوفًا فِي الأَوْسَاطِ العَرَبِيَّةِ، وكَأَنَّهُ بِذَلِكَ يُبَارِكُ قَوْلَ جُرْجِيَ زَيْدَانَ[١٩١٤]: «ويَغْلِبُ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّهُمْ نَسَجُوا فِي تَبْوِيبِهِ عَلَى مِنْوَالِ السِّرْيَانِ.. وأَوَّلُ مَنْ بَاشَرَ ذَلِكَ مِنْهُمُ الأَسْقُفُ يَعْقُوبُ الرُّهَاوِيُّ[٦٠٤م].. فَلَمَّا اضْطُرُّوا إِلَى تَدْوِينِ نَحْوِهِمْ ؛ نَسَجُوا عَلَى مِنْوَالِهِ ؛ لِأَنَّ اللُّغَتَيْنِ شَقِيقَتَانِ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ العَرَبَ بَدَأُوا فِي وَضْعِ النَّحْوِ وَهُمْ فِي العِرَاقِ بَيْنَ السِّرْيَانِ والكِلْدَانِ»(٦٥).

الأَمْرُ الثَّانِي : أَنَّ حُنَيْنَ بنَ إِسْحَاقَ(٦٦) - الَّذِي تَرْجَمَ هُوَ وابْنُهُ إِسْحَاقُ بَعْضَ كُتُبِ أَرِسْطُو - كَانَ صَدِيقًا لِلْخَلِيلِ، وتِلْمِيذًا لَهُ فِي العَرَبِيَّةِ(٦٧).

---

(٦٤) كاتب سرياني، ولد بحلب، ولما شب أكمل بالاسكندرية دراسته اللاهوتية النصرانية، ثم عين في الرُّهَا أسقفا، فسمي الرهاوي، برع في العبرانية، واليونانية، والسريانية، عكف على فلسفة اليونان، فألف فيها تآليف، يقال: اخترع النقط في السريانية، وقيل: بل طوره، مضيفا إليها حروفا يونانية كمصوتات، توفي سنة ٧٠٨م.

ينظر: تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس – ابن العبري –(دار الشرق، ط٣، ١٩٩٢م) / ٣١، الموسوعة القرآنية للأبياري / ٣٩٤، موسوعة ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%٩A%D%٨B%٩D%٨٢%٩D%٨٨%٩D%٨A٨_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨B%١D%٨٧%٩D%٨A%٧D%٨٨%٩D٨%٩A

(٦٥) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،(دار الهلال – مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف) ١ / ٢٢١.

(٦٦) أبو زيد العبادي، طبيب، نصراني، خطيب، شاعر، فصيح، أخذ عن يوحنا ماسوية، وأخذ العربية عن الخليل، ترجم عدة كتب من اليونانية إلى السريانية والعربية، ولخص كتب بقراط وجالينوس، وشى به الطيفوري عند الأساقفة، فلعنوه، فمات غما سنة ٢٩٨هـ.

ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي(دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٥ م) / ١٣١ – ١٣٤.

(٦٧) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤١.

وكَانَ يُحَاذِي هَذَا الرَّأْيَ رَأْيٌ أَكْثَرُ مِنْهُ تَحَفُّظًا، يَقْصُرُ الأَثَرَ السِّرْيَانِيَّ عَلَى النَّقْطِ الَّذِي تَحَوَّلَ بَعْدُ إِلَى شَكْلٍ، نَرَى ذَلِكَ فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ الأَبْيَارِيِّ[١٩٩٤]: «ونَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ السِّرْيَانَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الشَّكْلَ عَلَى الكَلِمَاتِ.. وكَانَ الأَسْقُفُ يَعْقُوبُ الرُّهَاوِيُّ أَوَّلَ مَنِ اخْتَرَعَ النُّقَطَ(٦٨).. وحِينَ انْتَشَرَ الإِسْلَامُ.. وخَافَ المُسْلِمُونَ مَا خَافَهُ السِّرْيَانُ مِنْ قَبْلُ؛ فَكَّرُوا فِى النَّقْطِ - أَوِ الشَّكْلِ - ولَعَلَّهُمُ اسْتَأْنَسُوا فِى ذَلِكَ بِمَا فَعَلَهُ السِّرْيَانُ مِنْ قَبْلُ»(٦٩).

* **جَوَابُ تْرُوبُو**:

يُصَدِّرُ تْرُوبُو جَوَابَهُ بِمُقَدِّمَةٍ، فَيَقُولُ: «أَمَّا النَّحْوُ اليُونَانِيُّ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعِ النُّحَاةُ القُدَامَى أَنْ يَعْرِفُوهُ بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ؛ إِذْ إِنَّهُمْ كَانَوا يَجْهَلُونَ اللُّغَةَ اليُونَانِيَّةَ، ولَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ كِتَابٌ فِي النَّحْوِ اليُونَانِيِّ مُتَرْجَمٌ إِلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِذَنْ أَنْ يَعْرِفُوا النَّحْوَ اليُونَانِيَّ إِلَّا بِوَاسِطَةِ النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنِ العَلَاقَاتِ المَوْجُودَةِ بَيْنَ النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ والنَّحْوِ اليُونَانِيِّ مِنْ جِهَةٍ، والنَّحْوِ العَرَبِيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى»(٧٠).

ولَمَّا كَانَ إِثْبَاتُ مِثْلِ هَذَا التَّأَثُّرِ يَفْتَقِرُ إِلَى ثُبُوتِ عَلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ طَرَفَيْ التَّأَثُّرِ والتَّأْثِيرِ، بِدِرَاسَةِ أُسُسِ النَّحْوِ فِي الجِهَتَيْنِ، وإِلَى ثُبُوتِ لِقَاءٍ بَيْنَ العَرَبِ والسِّرْيَانِ؛ عَرَّفَ أَوَّلًا بِمَا يَرْتَكِزُ عَلَيْهِ نَحْوُهُمْ، فَرَأَى أَنَّهُ يَرْتَكِزُ عَلَى أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الأَقَاوِيلُ الخَمْسَةُ الَّتِي مَيَّزَهَا مَنْطِقُ أَرِسْطُوَ فِي الكَلَامِ، وهِيَ: السُّؤَالُ، والأَمْرُ، والدُّعَاءُ، والتَّعَجُّبُ، والنِّدَاءُ، وذَكَرَ

---

(٦٨) قال د. أحمد مختار - في «البحث اللغوي عند العرب» / ٦٦(عالم الكتب - ٢٠٠٣) -: «ويعد يعقوب الرهاوي.. أول من وضع نحوًا شاملًا، وقواعد للغة السريانية مبنية على النحو اليوناني، وقد عُثِرَ على قِطَعٍ من هذا الكتاب، فيها حديث عن الصوائت - الحركات - وقد استعارها من اليونانية، ووضعها أولًا بين الحروف، ثم قام بوضعها فوق الحرف أو تحته في المكان الذي يوجد به فراغ».

(٦٩) إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية / ٣٩٤.

(٧٠) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١- ١٩٧٨م) ص ١٣١ - ١٣٢.

أَنَّ النُّحَاةَ السِّرْيَانَ اخْتَرَعُوا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا نِظَامَ النُّقَطِ، والثَّانِي: القَوَاعِدُ الصَّوْتِيَّةُ والصَّرْفِيَّةُ الَّتِي اقْتَبَسُوهَا مِنْ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ اليُونَانِيِّ مُتَرْجَمٍ إِلَى السِّرْيَانِيَّةِ.

ثُمَّ عَرَّفَ ثَانِيًا بِنُحَاتِهِمْ، فَجَعَلَ أَشْهَرَهُمْ ثَلَاثَةً، وَهُمْ: الأَسْقُفُ يَعْقُوبُ الرُّهَاوِيُّ[ق٧م] - الَّذِي صَنَّفَ الكِتَابَ الأَوَّلَ فِي النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ - وحُنَيْنُ بنُ إِسْحَاقَ[ق٩م] - الَّذِي أَلَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ سَمَّاهُ «كِتَابَ النُّقَطِ»، وإِيلِيَا بنُ شَيْنَايَا[ق١١م] -مُطْرَانُ نَصِيبِينَ الَّذِي صَنَّفَ كِتَابًا صَغِيرًا فِي النَّحْوِ -(٧١).

ثُمَّ عَرَّفَ ثَالِثًا بِمَوَاضِعِ تَعْلِيمِ نَحْوِهِمْ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مُنْتَشِرًا فِي أَدْيِرَةِ السِّرْيَانِ ومَدَارِسِهِمْ، كَمَدْرَسَةِ دَيْرِ قُنَّى(٧٢) قُرْبَ المَدَائِنِ، ومَدَارِسَ عِدَّةٍ كَانَتْ بِالحِيرَةِ قُرْبَ الكُوفَةِ(٧٣).

---

(٧١) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١-١٩٧٨م) ص ١٣٢.

(٧٢) قَالَ الشَّابُشْتِيُّ فِي «الدِّيَارَاتِ» / ٦٤، والبَكْرِيُّ فِي «مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ» ٢ / ٥٩٤، ويَاقُوتٌ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» ٢ / ٥٢٨، وابنُ شَمَائِلَ القَطِيعِيُّ فِي «مَرَاصِدِ الِاطِّلَاعِ» ٢ / ٥٧١: بِضَمِّ القَافِ، وتَشْدِيدِ النُّونِ، مَقْصُورٌ، وذَكَرَ الشَّابِشْتِيُّ أَنَّهُ يُعْرَفُ بِـ «دَيْرِ مَرِّ مَارِيِّ السَّلِيحِ»، وأَنَّهُ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا مِنْ بَغْدَادَ مُنْحَدِرًا فِي الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، بَيْنَهُ وبَيْنَ دِجْلَةَ مِيْلٌ ونِصْفٌ، وبَيْنَهُ وبَيْنَ دَيْرِ العَاقُولِ بَرِيدٌ، ونَقَلَهُ يَاقُوتٌ وابنُ شَمَائِلَ، وزَادَا: أَنَّهُ مَعْدُودٌ فِي أَعْمَالِ النَّهْرَوَانِ، يُقَابِلُهُ بَلْدَةُ الصَّافِيَةِ، قَالَ يَاقُوتٌ: «وقَدْ نُسِبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ جِلَّةِ الكُتَّابِ، مِنْهُمْ: فُلَانٌ القُنَّائِيُّ»، ولَعَلَّهُ يُرِيدُ مَتَّى بنَ يُونُسَ القُنَّائِيَّ، وقَدْ جَعَلَ البَكْرِيُّ قُنَّى بِفَارِسَ، مَعَ أَنَّ النَّهْرَوَانَ مَنْطِقَةٌ وَاسِعَةٌ فِي العِرَاقِ، بَيْنَ بَغْدَادَ وَوَاسِطَ، تَضُمُّ بِلَادًا عِدَّةً، كَإِسْكَافَ، وجَرْجَرَايَا، والصَّافِيَةِ، ودَيْرِ قُنَّى، وغَيْرِهَا، ذَكَرَ ذَلِكَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ البِقَاعِ، كَالكَرْخِيِّ فِي «المسَالِكِ والمَمَالِكِ» / ٨٦، ويَاقُوتَ فِي «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» ٥ / ٣٢٥، وابنِ حَوْقَلٍ فِي «صُورَةِ الأَرْضِ» ١ / ٢٤٤، وإِنَّمَا جَعَلَهُ البَكْرِيُّ بِفَارِسَ؛ لِأَنَّ الأَكَاسِرَةَ -كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ «حُدُودِ العَالَمِ» / ١٦٠ - بَنَوْا فِيهَا أَمَاكِنَ، أَيْ: فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ حِينَ كَانَ نُفُوذُهُمْ مُمْتَدًّا إِلَى العِرَاقِ.

(٧٣) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١- ١٩٧٨م) ص١٣٢.

فَأَمَّا النِّظَامُ النَّحْوِيُّ بَيْنَ العَرَبِيِّ والسِّرْيَانِيِّ فَهُوَ عِنْدَهُ مُتَبَايِنٌ ؛ واسْتَنَدَ إِلَى دَلِيلَيْنِ :

الدَّلِيلُ الأَوَّلُ : أَنَّ النُّحَاةَ السِّرْيَانَ يَرَوْنَ أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ يَخْتَلِفُ عَنِ النَّحْوِ اليُونَانِيِّ مِنْ جِهَةٍ ، وعَنِ النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى(٧٤) ، وقَدْ دَعَّمَ تِلْكَ الحُجَّةَ بِأَمْرَيْنِ :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : أَنَّ حُنَيْنَ بنَ إِسْحَاقَ(ت ٢٥٠هـ = ٨٧٣م)أَلَّفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ العَرَبِيِّ ، عَلَى المِنْهَاجِ اليُونَانِيِّ سَمَّاهُ «كِتَابَ أَحْكَامِ الإِعْرَابِ عَلَى مَذْهَبِ اليُونَانِيِّينَ»(٧٥) ، وأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : «إِنَّ العَرَبَ لَيْسَ لَهُمْ نَحْوٌ يَعْرِفُونَ بِهِ المَعَانِيَ الغَامِضَةَ كَمَا لِلسِّرْيَانِيِّينَ» ، فَأَفْهَمَ أَنَّ نَحْوَ العَرَبِ غَيْرُ كَافٍ ولَا مُقْنِعٍ لِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ(٧٦) .

الأَمْرُ الثَّانِي : مُنَاظَرَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا : تِلْكَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ إِيلِيَا بنِ شِنْيَايَا(٧٧) وبَيْنَ الوَزِيرِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ المَغْرِبِيِّ(٧٨) ؛ إِذْ قَالَ فِيهَا الوَزِيرُ : أَتَرْفَعُونَ الفَاعِلَ وتَنْصِبُونَ

---

(٧٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٧٥) قال الدكتور عبد الرحمن السليمان: «والمستشرق ميركس يرمى بالكذب والافتراء؛ لأنه نسب في مقالته إلى حنين بن إسحاق أنه ألف كتابا في النحو العربي على طريقة اليونانيين، ولا يزال افتراؤه هذا لغزا حتى اليوم؛ ذلك أن أحدا غيره لم يذكر هذا الكتاب المزعوم .

قال ذلك في حواره البحثي عن النحو العربي مع الدكتور فؤاد أبو علي، والدكتور أحمد الليثي، والدكتور وسام البكري، والأستاذ الصافي جعفري. http://ghafekerwabqazeker.blogspot.com/2015/03/blog-post.html

(٧٦) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١- ١٩٧٨م) ص ١٣٣.

(٧٧) يعرف بابن البِرِّيّ، من مؤلفاته «كنيسة المشرق»، كان كاهنًا، ثم رئيس للكهنة في دير الأنبا شمعون، ثم أسقفًا على بيث نوهدرا بنصيبين، ثم مطرانا على نصيبين، مات سنة ١٠٤٦م، ينظر:

http://www.kaldaya.net/٢٠١٠/Articles/٠٣_March_٣٢/٢٠١٠_March٢١_٢٠١٠_Ishooaa.html

http://www.alqosh.net/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=27673

(٧٨) هو أبو القاسم الحسين بن علي المغربي، كاتب سيف الدولة الحمداني، يذكر بالعلم والأدب والبلاغة، شهر بالذكاء وصناعة الكتابة.

ينظر: تاريخ دمشق لابن القلانسي، بتحقيق د. سهيل زكار(دار حسان بدمشق – ط١ – ١٤٠٣ هـ) / ١٠٣، زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم(دار الكتب العلمية بيروت – ط١ – ١٤١٧ هـ) / ٨٥، ٨٩.

المَفْعُولَ كَمَا تَفْعَلُ العَرَبُ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ تَعْرِفُونَ الفَاعِلَ مِنَ المَفْعُولِ ؟ قَالَ: يُدْخِلُ السِّرْيَانُ عَلَى المَفْعُولِ حَرْفَ اللَّامِ لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُ وبَيْنَ فَاعِلِهِ، فَمَا احْتَاجُوا أَنْ يَرْفَعُوا الفَاعِلَ ويَنْصِبُوا المَفْعُولَ كَمَا تَفْعَلُ العَرَبُ»[٧٩].

والمُنَاظَرَةُ الثَّانِيَةُ تِلْكَ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ مَتَّى بنِ يُونُسَ المَنْطِقِيِّ وأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ النَّحْوِيِّ ؛ فَإِنَّ فِي تِلْكَ المُنَاظَرَةِ أَنَّ مَتَّى يَرَى أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ لَا صِلَةَ لَهُ بِالمَنْطِقِ ؛ فَإِنَّ أَبَا سَعِيدٍ قَالَ لَهُ فِيهَا: «أَسْأَلُكَ عَنْ مَعَانِي حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ دَائِرٌ فِي كَلَامِ العَرَبِ، وَهُوَ الوَاوُ، مَا أَحْكَامُهُ ؟ وكَيْفَ مَوَاقِعُهُ ؟ وهَلْ هُوَ عَلَى وَجْهٍ أَوْ وُجُوهٍ» ؟ فَبُهِتَ مَتَّى، وقَالَ:

«هَذَا نَحْوٌ، والنَّحْوُ لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِالمَنْطِقِيِّ إِلَيْهِ، وبِالنَّحْوِيِّ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ إِلَى المَنْطِقِ ؛ لِأَنَّ المَنْطِقَ يَبْحَثُ عَنِ المَعْنَى، والنَّحْوَ يَبْحَثُ عَنِ اللَّفْظِ»[٨٠].

والجَوَابُ: أَنَّ كَوْنَ النُّحَاةِ السِّرْيَانِ يَرَوْنَ أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ يَخْتَلِفُ عَنِ النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ ؛ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ؛ لِأَنَّ تَرْكِيبَ اللُّغَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ نِظَامُهُمَا مُخْتَلِفًا، أَفَلَا تَرَى أَنَّ إِيلِيَا بَيَّنَ أَنَّ لُغَةَ العَرَبِ فِي ذَاتِهَا تَفْتَرِقُ عَنْ لُغَةِ السِّرْيَانِ ؟ فَلِلْمُخَالِفِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ غَيْرُ مَانِعٍ مِنِ اقْتِبَاسِ شَيْءٍ مِنَ التَّنْظِيمِ، إِذْ لَيْسَ المُرَادُ بِالتَّأَثُّرِ أَنْ يَكُونَ النَّحْوُ مَنْقُولًا بِرُمَّتِهِ ؛ فَإِذَا كَانَ حُنَيْنٌ جَعَلَ النَّحْوَ العَرَبِيَّ فِي مُصَنَّفِهِ صُورَةً طِبْقَ الأَصْلِ لِنَحْوِ اليُونَانِيِّينَ ؛ فَقَدْ

---

(٧٩) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ – ١٩٧٨م) ص ١٣٣.

(٨٠) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ – ١٩٧٨م) ص ١٣٤ – ١٣٥.

يَكُونُ النُّحَاةُ العَرَبُ اسْتَفَادُوا شَيْءًا مِنْ نَحْوِ السِّرْيَانِ واليُونَانِ مِنْ غَيْرِ مُطَابَقَةٍ، ولِلْمُخَالِفِ - أَيْضًا - أَنْ يَقُولَ: لِأَجْلِ هَذَا لَمْ يَكُنْ مَتَّى عَارِفًا بِتَفَاصِيلِ النَّحْوِ؛ فَإِنَّ فِيهِ مِنْ لُغَةِ العَرَبِ مَا لَيْسَ فِي المَنْطِقِ، كَمَا أَنَّهُ غَيْرُ وَافٍ بِمَنْطِقِ أَرِسْطُوَ.

الدَّلِيلُ الثَّانِي: شَهَادَةٌ مِنْ مُتَرْجِمٍ ومَنْطِقِيٍّ، فَأَمَّا المُتَرْجِمُ السِّرْيَانِيُّ لِمُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ اليُونَانِيِّ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مُصْطَلَحَاتِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ، ولَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ[٨١]، وأَمَّا المَنْطِقِيُّ فَهُوَ الفَارَابِيُّ(ق١٠م)، وكَانَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ أَصْحَابَ عِلْمِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ إِلَى زَمَانِهِ لَمْ تَجْرِ عَادَتُهُمْ أَنْ يُفْرِدُوا لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ المَعَانِي اسْمًا يَخُصُّهُ، ثُمَّ اخْتَرَعَ هُوَ(الخَوَالِفَ، والوَاصِلَاتِ، والوَاسِطَاتِ، والحَوَاشِيَ، والرَّوَابِطَ)[٨٢].

والجَوَابُ: أَنَّ المُصْطَلَحَ لَيْسَ مِقْيَاسَ التَّأَثُّرِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ الفَنِّ الوَاحِدِ يَخْتَلِفُونَ فِي الِاصْطِلَاحِ، أَوَلَيْسَ كَثِيرٌ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ الكُوفِيِّينَ تُفَارِقُ مُصْطَلَحَاتِ البَصْرِيِّينَ ؟ ونَحْوُ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ وَاحِدٌ، يُسَمَّى «النَّحْوَ العَرَبِيَّ»، وأَمَّا الفَارَابِيُّ فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَحْشُرَ فِي النَّحْوِ مُصْطَلَحَاتٍ لِمَعَانٍ مَنْطِقِيَّةٍ، وتِلْكَ المَعَانِي لَا غَرَضَ بِالنَّحْوِيِّ فِيهَا.

---

(٨١) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١-١٩٧٨م) ص ١٣٤.

(٨٢) المرجع السابق ص ١٣٤.

وأَمَّا نُحَاتُهُمْ، ومَوَاضِعُ تَعْلِيمِ نَحْوِهِمْ، فَهُمَا مَوْضِعُ الصِّلَةِ؛ لَكِنْ - فِيمَا يَرَى ترُوبُو - لَا دَلِيلَ فِي المَصَادِرِ السِّرْيَانِيَّةِ، أَوِ العَرَبِيَّةِ عَلَى أَنَّ النُّحَاةَ العَرَبَ القُدَامَى اتَّصَلُوا بِالنُّحَاةِ السِّرْيَانِ، أَوْ تَعَلَّمُوا اللُّغَةَ السِّرْيَانِيَّةَ(٨٣).

وعِنْدَ التَحْقِيقِ نَرَى أَنَّ ترُوبُوَ نَافٍ لِلصِّلَةَ، بَيْنَمَا نَجِدُ مَدْكُورًا مُثْبِتًا لِصَدَاقَةِ حُنَيْنِ بنِ إِسْحَاقَ لِلْخَلِيلِ، وأَنَّ الرُّهَاوِيَّ كَانَ مَعْرُوفًا فِي الأَوْسَاطِ العَرَبِيَّةِ، والأَصْلُ تَقْدِيمُ قَوْلِ المُثْبِتِ عَلَى قَوْلِ النَّافِي، بَيْدَ أَنَّ مُجَرَّدَ الصَّدَاقَةِ أَوِ المَعْرِفَةِ لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا عَلَى التَّأَثُّرِ فِي المِقْيَاسِ العِلْمِيِّ، فَلَيْسَتْ دَعْوَى التَّأَثُّرِ فِي هَذَا الفَنِّ وسَائِرِ الفُنُونِ تُقْبَلُ بِمُجَرَّدِ الحَدْسِ والظَّنِّ، أَوِ الِالْتِمَاسِ، أَوِ التَّلْفِيقِ، وإِنَّمَا يَلْزَمُ فِيهَا إِثْبَاتُ وُجُودِ الأَثَرِ، وانْتِفَاءُ إِمْكَانِ التَّوَافُقِ.

ثُمَّ قَالَ «جيرَارْ ثْرُوبُو»: «فَيَدَلُّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ المَنْطِقِيِّينَ السِّرْيَانَ والفَلَاسِفَةَ العَرَبَ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِأَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ لَا يَتَعَلَّقُ بِالمَنْطِقِ أَلْبَتَّةَ، فَمِنَ النَّاحِيَةِ التَّارِيخِيَّةِ: يَظْهَرُ لَنَا أَنَّهُ مِنَ المُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ النُّحَاةُ العَرَبُ القُدَامَى قَدْ عَرَفُوا النَّحْوَ اليُونَانِيَّ والمَنْطِقَ اليُونَانِيَّ فَتَأَثَّرُوا بِهِمَا فِي نِظَامِهِمْ»(٨٤).

---

(٨٣) المرجع السابق ص ١٣٢.

(٨٤) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ - ١٩٧٨م) ص ١٣٥.

ولَمَّا نَفَى تَأَثُّرَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالنَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ أَثْبَتَ أَنَّ النَّحْوَ السِّرْيَانِيَّ هُوَ الَّذِي تَأَثَّرَ بِالنَّحْوِ العَرَبِيِّ فِي القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ، بِدَلِيلِ أَنَّ إِيلِيَا مُطْرَانَ[٨٥] الطَّيْرُهَانِ[٨٦] يُصَنِّفُ كِتَابًا فِي النَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ[٨٧] يُدخِلُ فِيهِ النِّظَامَ العَرَبِيَّ[٨٨].

---

(٨٥) مر ذكره، والمشهور أنه كان مطرانا في نصيبين، جاء في موقع الكلدانيين مقال بعنوان «مار ميخائيل رفيق الملائكة»، للشماس نوري إيشوع مندو، قال فيه: «ونعرف من حياة إيليا برشينايا مطران نصيبين.. أنه درس في دير مار ميخائيل على يد الراهب يوحنا الأعرج»، وقال: «رُسِمَ كاهنًا، ثم رئيس للكهنة في دير الأنبا شمعون، وذلك سنة ٩٩٤، وفي سنة ١٠٠٢ أقيم أسقفًا على بيث نوهدرا [وهي مركز مدرسة نصيبين] ثم مطرابوليطًا على نصيبين سنة ١٠٠٨»، وقال الشماس د. كوركيس مردو في حديثه عن «ايشوعياب» في «موقع القوش نت»: «وأبرز مَن وقف ضِدَّه كان ايليا مطران نصيبين المعروف بابن السِّتن – بر شِنّايا – الذي إتَّهَمَه بالسيمونية، أي شراء المنصب الكنسي بالمال، نسبة الى سيمون الساحر».

http://www.kaldaya.net/٢٠١٠/Articles/٠٣_March_٣٢/٢٠١٠_March٢١_٢٠١٠_Ishooaa.html
http://www.alqosh.net/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=27673

(٨٦) الطَّيْرُهَانُ: من مقاطعات الموصل، بني فيها مدينة «سُرَّ مَنْ رَأَى» – سَامِرَّاءَ – افْتَتَحَهَا عُتْبَةُ بنُ فَرْقَدٍ، قال اليعقوبي: «كانت «سُرَّ مَنْ رَأَى» في متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان، لا عمارة بها، وكان بها دير للنصارى».

ينظر: البلدان لليعقوبي(دار الكتب العلمية بيروت – ط١ – ١٤٢٢ هـ) / ٥٤، البلدان لابن الفقيه / ١٧٧، ١٧٩.

(٨٧) قال الشماس د. كوركيس مردو في موقع القوش نت: «كان البطريرك ايليا الأول – في شبابه وقبل أن يُقام اسقفًا – قد وضع اسلوبًا نحويًا شبيهًا بالإسلوب العربي، وأراد إدخاله الى نحو اللغة الكلدانية، ولكنَّه مُني بالفشل»، وجاء في موسوعة ويكيبيديا: «إيليا بار شينايا.. ألف كتبا في نحو اللغة السريانية»، ينظر:

http://www.alqosh.net/mod.php?mod=articles&modfile=item&itemid=27673
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨A%٥D٨%٩A%D%٨٤%٩D٨%٩A%D%٨AY_%D%٨A%٨D
%٨A%YD%٨B%١D%٨B%٤D٨%٩A%D%٨٦%٩D%٨A%YD٨%٩A%D%٨AY

(٨٨) جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه(مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١– ١٩٧٨م) ص ١٣٣.

وهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى لَا يُمْكِنُ أَنْ نَبُتَّ فِيهَا هُنَا ؛ لِأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ المَوْضُوعِ الَّذِي قَصَدْنَاهُ، لَكِنَّ مِنَ الخَيرِ أَنْ نُشِيرَ إِلَى حُجَّتَيْنِ حَرِيَّتَيْنِ بِالنَّظَرِ، ذَكَرَ إِحْدَاهُمَا الدُّكْتُورُ إِسْمَاعِيلُ عَمَايرَةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَأَثُّرِ أَبِي الأَسْوَدِ بِالرُّهَاوِيِّ فِي الشَّكْلِ بِالنَّقْطِ ؛ فَقَدْ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الرِّوَايَاتِ عَنِ أَبِي الأَسْوَدِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ بَدَأَ فِي ضَبْطِ اللُّغَةِ فِي حَيَاةِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ المُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ، وكَانَ عُمُرُ الرُّهَاوِيِّ حِينَئِذٍ لَا يَتَجَاوَزُ السَّادِسَةَ[٨٩]، وذَكَرَ الأُخْرَى الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّلَيْمَانُ، فَإِنَّهُ قَالَ: «أَبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ تُوُفِّيَ سَنَةَ[٦٨٨م]، أَيْ: قَبْلَ وَفَاةِ الأَسْقُفِ يَعْقُوبَ الرُّهَاوِيِّ بِعِشْرِينَ سَنَةً، فَلِمَ لَا يَكُونُ الرُّهَاوِيُّ هُوَ الَّذِي أَخَذَ نِظَامَ الحَرَكَاتِ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ ؟ ولِمَاذَا لَمْ يَقُمْ السِّرْيَانُ - وَهُمْ أَقْدَمُ تَدْوِينًا لِلُغَتِهِمْ مِنْ عَرَبِ الشَّمَالِ - بِفِعْلِ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى زَمَانِ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ؟»[٩٠].

الحُجَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ مَوَارِدَ القِيَاسِ النَّحْوِيِّ أَجْنَبِيَّةٌ:

يَرَى مَذْكُورٌ أَنَّ القِيَاسَ النَّحْوِيَّ نَشَأَ بِالعِرَاقِ إِلَى جَانِبِ القِيَاسِ الفِقْهِيِّ، وأَنَّ هَذَا التَّجَاوُرَ لَا يَجِيءُ عَبَثًا، بَلْ كَانَ وَلِيدَ الِاعْتِدَادِ بِالرَّأْيِ والتَّأَثُّرِ بِالثَّقَافَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ، ومِنْ بَيْنِهَا مَنْطِقُ أَرِسْطُو[٩١].

ولَيْسَ الجَوَابُ عَنْ دَعْوَاهُ هَذِهِ بِمُلْجِئٍ إِلَى اجْتِهَادٍ وَاسِعٍ ؛ فَإِنَّهُ نَفْسَهُ أَجَابَ عَنْهَا حِينَ جَعَلَ القِيَاسَ النَّحْوِيَّ قِيَاسًا تَمْثِيلِيًّا يَسْتَدِلُّ بِالجُزْئِيِّ عَلَى الكُلِّيِّ، وجَعَلَ القِيَاسَ الأَرِسْطِيَّ(=الشُّمُولِيَّ) - سَوَاءٌ كَانَ بُرْهَانِيًّا أَوْ غَيْرَهُ - قِيَاسًا مُنْطَلِقًا مِنَ الكُلِّيِّ إِلَى

---

(٨٩) د. إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (ط الثانية - ١٩٩٢) / ٥٢.

(٩٠) د. عبد الرحمن السليمان، قضية تأثر النحو العربي بنحو الأمم الأخرى.

http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=52

(٩١) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤٣.

الجُزْئِيِّ ؛ فَلَا أَصْرَحَ مِنْ هَذَا التَّفْرِيقِ بَيْنَ القِيَاسَيْنِ، ولَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَقِيقًا بِدَرَجَةٍ كَافِيَةٍ ؛ فَإِنَّ الِاسْتِدْلَالَ بِالجُزْئِيِّ عَلَى الكُلِّيِّ يُسَمَّى اسْتِقْرَاءً - وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَقْوَى مِنَ التَّمْثِيلِيِّ[٩٢] - وأَمَّا القِيَاسُ التَّمْثِيلِيُّ فَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِالجُزْئِيِّ عَلَى الجُزْئِيِّ، وَهُوَ فِي الحَالَيْنِ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، ولَا يُغْنِيهِ شَيْئًا تَدَارُكُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ أَرِسْطُو لَمْ يُهْمِلِ القِيَاس التَّمْثِيلِيَّ ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي لَوَاحِقِ القِيَاسِ ؛ فَإِنَّ مَذْكُورًا قَرَّرَ أَنَّ القِيَاسَ التَّمْثِيلِيَّ لَا يَخْتَصُّ بِأَرِسْطُوَ ؛ لِأَنَّهُ فِطْرِيٌّ، قَالَ: «ولَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ هَذَا القَدْرَ الفِطْرِيَّ مِنْ صُنْعِ أَرِسْطُوَ أَوْ أَيٍّ فَيْلَسُوفٍ آخَرَ، ولَكِنْ يَوْمَ أَنْ تَتَحَوَّلَ الفِطْرَةُ إِلَى فَنٍّ وصِنَاعَةٍ يَنْبَغِي البَحْثُ عَنْ عَوَامِلِ هَذَا التَّحَوُّلِ»، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ لِلْعَرَبِ صِنَاعَةً وفَنًّا فِي هَذَا القِيَاسِ، فَقَالَ: «ولَمْ يَقِفِ القِيَاسُ النَّحْوِيُّ عِنْدَ تِلْكَ الصُّورَةِ الفِطْرِيَّةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا، بَلْ فَلْسَفَهُ النُّحَاةُ وافْتَنُّوا فِيهِ إِلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ»[٩٣].

ولَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ العَرَبَ اقْتَبَسُوا ذَلِكَ التَّفَنُّنَ فِيهِ مِنْ أَرِسْطُو ؛ لِأَنَّ القِيَاسَ التَّمْثِيلِيَّ لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ أَرِسْطُو، ولَا يُسَمِّيهِ قِيَاسًا، بَلْ يَحْصُرُ اسْمَ القِيَاسِ فِي الشُّمُولِيِّ ؛ ولِهَذَا لَمْ يَجْعَلِ المَنَاطِقَةُ التَّمْثِيلَ أَوِ الِاسْتِقْرَاءَ مُوصِلًا إِلَى اليَقِينِ والقَطْعِ، قَالَ ابنُ سِينَا: «والِاسْتِقْرَاءُ غَيْرُ مُوجِبٍ لِلْعِلْمِ الصَّحِيحِ.. وأَمَّا التَّمْثِيلُ ؛ فَهُوَ الَّذِي يَعْرِفُهُ أَهْلُ زَمَانِنَا بِالقِيَاسِ.. وَهُوَ حُكْمٌ عَلَى جُزْئِيٍّ بِمِثْلِ مَا فِي جُزْئِيٍّ آخَرَ يُوَافِقُهُ فِي مَعْنًى جَامِعٍ.. وهَذَا -أَيْضًا - ضَعِيفٌ»[٩٤].

---

(٩٢) قال الغزالي في معيار العلم / ١٦١: «والحكم المنقول ثلاثة: إما حكم من كلي على جزئي، وهو الصحيح اللازم، وهو القياس الصحيح الذي قدمناه، وإما حكم من جزئي واحد على جزئي واحد -كاعتبار الغائب بالشاهد - وهو التمثيل وسيأتي، وإما حكم من جزئيات كثيرة على جزئي واحد - وهو الاستقراء - وهو أقوى من التمثيل».

(٩٣) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤٣.

(٩٤) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات(ت سليمان دنيا) / ٣٦٨ - ٣٦٩، قال الأخضري في «سلمه»:

وَلا يُفِيْدُ القَطْعَ بِالدَّلِيْلِ * قِيَاسُ الِاسْتِقْرَاءِ وَالتَّمْثِيْلِ

وقَالَ: «وكَثِيرًا مَا يَكُونُ الوَجْهُ الَّذِي لَيْسَ بِصَوَابٍ شَبِيهًا بِالصَّوَابِ أَوْ مُوهِمًا أَنَّهُ شَبِيهٌ بِهِ»(٩٥)، وشَرَحَهُ الطُّوسِيُّ بِقَوْلِهِ: «فَالصَّوَابُ هُوَ «القِيَاسُ»، والشَّبِيهُ بِهِ هُوَ «الِاسْتِقْرَاءُ»؛ لِأَنَّهُ انْتِقَالٌ مِنْ جُزْئِيَّاتٍ إِلَى كُلِّيِّهَا، كَمَا أَنَّ القِيَاسَ انْتِقَالٌ مِنْ كُلِّيٍّ إِلَى جُزْئِيَّاتِهِ، والمُوهِمُ أَنَّهُ شَبِيهٌ بِهِ هُوَ «التَّمْثِيلُ»؛ فَإِنَّ إِيرَادَ الجُزْئِيِّ الوَاحِدِ فِي التَّمْثِيلِ لِإِثْبَاتِ الحُكْمِ المُشْتَرَكِ يُوهِمُ مُشَارَكَةَ سَائِرِ الجُزْئِيَّاتِ لَهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّهُ اسْتِقْرَاءُ»(٩٦).

الحُجَّةُ الخَامِسَةُ: العِلَلُ النَّحْوِيَّةُ:

اسْتدَلَّ مَدْكُورٌ لِرَأْيِهِ -فِي التَّأَثُّرِ- بِالعِلَلِ النَّحْوِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا -بِالجُمْلَةِ- مُسْتَقَاةٌ مِنَ الفُقَهَاءِ؛ لِقَوْلِ ابنِ جِنِّي: إِنَّ أَصْحَابَنَا انْتَزَعُوا العِلَلَ مِنْ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ - لَكِنَّ عِلَلَ حُذَّاقِهِمْ مُسْتَقَاةٌ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ - كَمَا يَقُولُ ابنُ جِنِّي - مَعَ أَنَّ كِلَا النَّوْعَيْنِ مُسْتَقًى مِنْ فِكْرَةِ العِلِّيَّةِ المُتَأَثِّرَةِ بِأَصْلٍ أَرِسْطِيٍّ؛ لِأَنَّ أَرِسْطُوَ عَرَضَ لِمَبْدَأِ العِلِّيَّةِ، فَشَرَحَ العِلَلَ الأَرْبَعَ: المَادِّيَّةَ، والصُّورِيَّةَ، والفَاعِلِيَّةَ، والغَائِيَّةَ(٩٧)، فَالنُّحَاةُ حَاوَلُوا أَنْ يُدَعِّمُوا قِيَاسَهُمْ بِمَبْدَأِ العِلِّيَّةِ، كَمَا فَعَلَ أَرِسْطُو مِنْ قَبْلُ(٩٨).

وهَذِهِ الدَّعْوَى يُمْكِنُ النَّظَرُ فِيهَا لَوْ لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ أَنَّ لِكُلِّ مَعْلُولٍ عِلَّةً إِلَّا بِأَرِسْطُوَ، وتَأَمُّلُ هَذِهِ الدَّعْوَى يُغْنِي عَنِ الجَوَابِ عَنْهَا.

---

(٩٥) ابن سينا، الإشارات والتنبيهات(ت سليمان دنيا) / ١٢٦.

(٩٦) الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات(ت سليمان دنيا) / ١٢٦.

(٩٧) دكتور إبراهيم بيومي مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٧ / ٣٤٤.

(٩٨) المرجع السابق الصفحة نفسها.

الحُجَّةُ السَّادِسَةُ: الإِسْنَادُ:

يُدَعِّمُ مَدْكُورٌ رَأْيَهُ بِأَنَّ سِيبَوَيْهِ تَحَدَّثَ عَنِ الإِسْنَادِ، كَمَا أَنَّ أَرِسْطُوَ تَحَدَّثَ عَنْهُ(٩٩).

ولَا أَدْرِي كَيْفَ اتَّكَأَ عَلَى هَذَا وَهُوَ يُصَرِّحُ بِأَنَّ الإِسْنَادَ لَيْسَ حِكْرًا عَلَى اليُونَانِ؟ فَقَدْ قَالَ: «وَوَاضِحٌ أَنَّ الإِسْنَادَ دِعَامَةُ كُلِّ نَحْوٍ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ عَرَبِيٍّ»(١٠٠).

المَبْحَثُ الثَّانِي: مُحَاقَّةُ الفَرِيقَيْنِ

لَا يَحِقُّ -عِنْدَ تَدَارُسِ الخِلَافِ، لِمَنِ ابْتَغَى فِي دَرْسِهِ الإِنْصَافَ - القَفْزُ عَلَى الكَلِمَاتِ، أَوِ التَّجَاوُزُ إِلَى النِّيَّاتِ، ولا تَسَوُّرُ الحُدُودِ، أَوْ إِقْحَامُ غَيْرِ المُفِيدِ، ولَا تَغْيِيرُ مَنَابِتِ الأُصُولِ، أَوِ المُصَادَرَةُ لِلْمَنْقُولِ والمَعْقُولِ، ولَا سِيَّمَا أَنَّنَا فِي عَصْرٍ لَا يُقْبَلُ فِيهِ إِغْفَالُ المُخَالِفِ، ولَا تَسْفِيهُ المُنَاكِفِ، حَتَّى لَوْ أَدْلَى مِنَ القَوْلِ بِكَلٍّ، ومِنَ الدَّلِيلِ بِمُعْتَلٍّ، فَلِزَمَ بَسْطُ الأُصُولِ، وبِنَاءُ المَعْقُولِ عَلَى المَنْقُولِ، بِبَيَانِ أُمُورٍ تَتَّفِقُ عَلَيْهَا النُّظَّارُ، ولَا تَخْتَلِفُ مَهْمَا اخْتَلَفَتِ الأَعْصَارُ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا حُجَّةَ فِي الحُكْمِ العَامِّ غَيْرِ الصَّرِيحِ إِذَا تَخَلَّفَ بَعْضُ أَفْرَادِهِ، ويُعَبِّرُ عَنْهُ أَهْلُ العِلَلِ بِأَنَّهُ «**لَا حُجَّةَ فِي العِلَّةِ القَاصِرَةِ**»، فَالدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الحَاجُّ صَالِحٌ اسْتَنَدَ -فِي إِنْكَارِهِ لِلتَّأَثُّرِ- إِلَى أَنَّ النِّظَامَ المَنْطِقِيَّ غَيْرُ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ، وأَنَّ

---

(٩٩) المرجع السابق ٧ / ٣٤٠.

(١٠٠) المرجع السابق الصفحة نفسها.

القَرْنَيْنِ الثَّالِثَ والرَّابِعَ شَهِدَا هُجُومًا عَنِيفًا عَلَى المَنْطِقِ اليُونَانِيِّ، وأَنَّ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ يَخْلُو مِنَ الإِشَارَاتِ إِلَى مَصَادِرَ يُونَانِيَّةٍ وسِرْيَانِيَّةٍ(١٠١).

والحَقُّ: أَنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ فِي سِيَاقِ الجَوَابِ؛ لِأَنَّ المُخَالِفَ إِنَّمَا احْتَجَّ بِأَوْجُهِ اتِّفَاقٍ، ولِأَنَّ الهُجُومَ عَلَى المَنْطِقِ لَمْ يَمْنَعْ سَائِرَ الفُنُونِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الأَخْذِ بِهِ حَتَّى فِي أُصُولِ الفِقْهِ، وأَمَّا خُلُوُّ الكِتَابِ مِنَ الإِشَارَةِ إِلَى مَصَادِرَ أَجْنَبِيَّةٍ؛ فَلَيْسَ بِدَلِيلٍ عِنْدَ النَّظَرِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ إِلَى إِشَارَةٍ إِلَى مَصْدَرِ مَنْهَجٍ.

الأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا يُسَمَّى تَأَثُّرًا، ومَا يُسَمَّى اتِّفَاقًا، ومَا يُسَمَّى تَوَافُقًا؛ فَإِنَّ التَّوَافُقَ مُفَاعَلَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وأَمَّا الِاتِّفَاقُ فَهُوَ تَوَافُقُ الأُمَّةِ أَوِ الأُمَمِ، فَأُمَّةُ الإِسْلَامِ مُتَّفِقَةٌ عَلَى حُجِّيَّةِ القُرْآنِ فِي أَحْكَامِ العِبَادَاتِ، وتَتَوَافَقُ بَعْضُ طَوَائِفِهَا عَلَى حُجِّيَّةِ الِاسْتِحْسَانِ، لَكِنَّ الأُمَّةَ مُتَّفِقَةٌ مَعَ سَائِرِ الأُمَمِ عَلَى أَنَّ الوَاحِدَ والوَاحِدَ يُكَوِّنَانِ اثْنَيْنِ، فَالأُمَمُ كُلُّهَا مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّ الفِعْلَ لَهُ فَاعِلٌ، فَلَا يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ - فَضْلًا عَنِ الأَعْيَانِ - أَنْ يُقَالَ: إِنَّ العَرَبَ احْتَذَتْ فِي هَذَا اليُونَانَ أَوِ السِّرْيَانَ أَوْ غَيْرَهُمْ لِمُجَرَّدِ التَّوَافُقِ فِي هَذَا الحُكْمِ أَوْ ذَاكَ.

---

(١٠١) دليلة مازوز، الأحكام النحوية بين النحاة و علماء الدلالة دراسة تحليلية نقدية / ٥٩ - ٦٠، نقلا عن مقاله المشار إليه «النحو العربي ومنطق أرسطو».

والعَجَبُ أَنَّ هَذَا المَعْنَى حَاضِرٌ لَدَى الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ(١٠٢) مُخْتَارَ[٢٠٠٣] وَهُوَ يُقَرِّرُ أَنَّ أَنَّ التَّشَابُهَ بَيْنَ عَمَلَيْنِ لَا يَسْتَلْزِمُ التَّأَثُّرَ أَوِ التَّأْثِيرَ(١٠٣)، وأَنَّ تَوَافُقَ التَّقْسِيمِ بَيْنَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ وغَيْرِهِ قَدْ يَكُونُ مُجَرَّدَ تَشَابُهٍ بِطَرِيقِ المُصَادَفَةِ، أَوْ تَأَثُّرًا جُزْئِيًّا فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّالِثِ(١٠٤)، مُنْكِرًا عَلَى مَنِ اسْتَكْثَرَ عَلَى العَرَبِ الِاسْتِقْلَالَ العِلْمِيَّ والعَقْلِيَّ والفِكْرِيَّ، ودَاحِضًا تَعْلِيلَهُمْ بِوِلَادَةِ النَّحْوِ نَاضِجًا: بِأَنَّ مَرَاحِلَ تَطَوُّرِ النَّحْوِ الَّتِي سَبَقَتْ نُضْجَهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ اسْتَغْرَقَتْ مِائَةَ سَنَةٍ، وَهِيَ مُدَّةٌ كَافِيَةٌ لِخَلْقِ نَحْوٍ عَرَبِيٍّ نَاضِجٍ(١٠٥)، ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الإِعْرَابَ وبَعْضَ التَّعْلِيلَاتِ النَّحْوِيَّةِ - كَالمَنْعِ مِنَ العَطْفِ

---

(١٠٢) هذا من الأسماء المركبة تركيبا مزجيا، لأن مختارا ليس اسم والده، فكان الأولى بناء الأول على الفتح، وجعل الإعراب في آخره، ومنعه من الصرف.

(١٠٣) قال في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٤١: «أنه لا يصح – حين يجد الباحث تشابهًا بين عملين – أن يعول على مجرد السبق الزمني ويتخذه دليلًا على تأثير السابق في اللاحق، فالعقل البشري هو العقل البشري في أي بقعة من أنحاء العالم، وما يهتدي إليه المرء في بلد قد يهتدي إليه آخر في بلد آخر دون أن يطلع على ما انتهى إليه غيره، وقد يتشابه العملان أو يتطابقان ويظل كل منهما أصلًا في ذاته».

(١٠٤) قال في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٥٢: «وقد سبق أن رأينا مثلًا أن أقسام اللام موجودة كذلك عند الهنود، ولا شك أنها موجودة أيضًا عند شعوب أخرى، والأمر قد لا يخرج عن مجرد التشابه بطريق المصادفة، أو عن التأثر الجزئي ابتداء من أواخر القرن الثالث حيث ظهرت الترجمات الأولى للأعمال الفلسفية اليونانية، ولا يصح أن نغفل في هذا المقام التأثير المعتزلي على المناهج النحوية العربية وبخاصة على نظرية العامل».

(١٠٥) قال في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٥٤: «ويبدو أن أولئك – المولعين برد كل ما هو عربي إلى أصل أجنبي – هم من تلك الفئة من الباحثين التي تستكثر على العقلية العربية الاستقلال الفكري، وتنفي عنها الأصالة العلمية، ويبدو – أيضًا – أن أولئك الباحثين قد ظنوا أن النحو العربي قد ولد ناضجًا؛ لأنه جاءنا ناضجًا، فاتخذوا من ذلك دليلًا على نقله من نحو أمة أخرى، وقد سبق أن رأينا أن النحو العربي قد مر بمراحل تطويرية كثيرة قبل أن يصل إلى مرحلة النضج، وأن الفترة الزمنية بين نشأة النحو وكتاب سيبويه تزيد على المائة عام، وهي كافية جدًّا لخلق نحو عربي ناضج متطور بدون النقل الحرفي من نحو آخر».

عَلَى مَعْمُولَيْ عَامِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ - مِنْ آثَارِ المَنْطِقِ والفَلْسَفَةِ[١٠٦]، ولَا أَنْ يُثْبِتَ تَأْثِيرًا مَنْطِقِيًّا وفَلْسَفِيًّا - يُونَانِيًّا وهِنْدِيًّا - فِي النَّحْوِ بِوَجْهٍ عَامٍّ، وإِنْ كَانَ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ النَّحْوُ وَاقِعًا تَحْتَ سَيْطَرَةِ الفَلْسَفَةِ اليُونَانِيَّةِ لِمُجَرَّدِ التَّشَابُهِ فِي التَّقْسِيمِ أَوِ الِاصْطِلَاحِ[١٠٧]، ولَا أَنْ يَجْزِمَ بِتَأْثِيرِ السِّرْيَانِ فِي الأَبْجَدِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، والحَرَكَاتِ الإِعْرَابِيَّةِ العَرَبِيَّةِ[١٠٨].

---

(١٠٦) قال – في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٤٩ – معقبا على الدكتور عبد الرحمن أيوب: «ولست أخيرًا مع الدكتور أيوب في قوله: «إن كتاب سيبويه يخالف المتأخرين من ناحية عدم تأثره بالمنطق، وعدم اهتمامه بالنظريات والتقسيمات العقلية»، ماذا يبقى في أي كتاب للنحو إذن لو جردناه من النظريات، ونحينا جانبًا ما فيه من تقسيمات عقلية ؟ أليس المنطق هو المسئول عن إعراب الخليل وسيبويه الفعل المضارع بعد فاء السببية وواو المعية منصوبًا بأن مضمرة ؟ ألم يكن الخليل يثير كثيرًا من المناقشات اللفظية ويطبق قواعده على أمثلة لم ترد عن العرب ؟ أليس منع سيبويه العطف على معمولي عاملين مختلفين من آثار الفلسفة ؟».

(١٠٧) قال في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٥٢: «ونحن وإن كنا نسلم بتأثير المنطق والفلسفة بوجه عام – ولا نقصرهما على اليونانيين، فقد كان للهنود كذلك منطق وفلسفة، وكان لغير الهنود منطق وفلسفة – على النحو العربي؛ فإننا نتردد كثيرًا في قبول الرأي القائل بوقوع النحو العربي تحت سيطرة الفلسفة اليونانية، ومجرد التشابه في تقسيم أو أكثر، أو في بعض المصطلحات لا ينهض دليلًا لإثبات مثل هذه الدعوى العريضة».

(١٠٨) قال في «البحث اللغوي عند العرب» / ٣٥٤: «وإذا كنا قد ترددنا في إثبات الأثر السرياني على النحو العربي فيبدو أن هناك نقطتين لا مجال لإنكار أثر السريان فيهما على العرب وهما:.. الأبجدية النبطية التي استعارها العرب لكتابتهم، والخط النبطي مشتق من الآرامي، والإملاء العربي القديم قريب من الإملاء الآرامي، ويظهر ذلك في الخط الكوفي، [والثانية] نشأة الحركات الأعرابية في فجر الإسلام، التي ينسب وضعها إلى أبي الأسود الدؤلي، وهي في الحقيقة مأخوذة عن السريان، فقد استخدم أبو الأسود طريقة الشكل بالنقط وكانت إحدى طرق الشكل عند السريان، وهي الطريقة التي اتبعها النساطرة».

والنساطرة: هم أتباع الكنيسة السريانية، وتسمى «الكنيسة الشرقية» أو «الكنيسة النسطورية»، نسبة إلى نسطور بطريك القسطنطينة، ينظر: ويكيبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%82

الأَمْرُ الثَّالِثُ: أَنَّ الجَوَابَ بِالإِنْشَاءِ لَا يَنْدَمِلُ بِهِ جُرْحٌ، ولَا يَنْدَفِعُ بِهِ خَصْمٌ، فلَيْسَ يَشْفِي مِنْ جَوَابٍ وَصْفُ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ مُخْتَارَ المُدَّعِينَ لِلتَّأَثُّرِ بِالوَلَعِ بِرَدِ كُلِّ مَا هُوَ عَرَبِيٌّ إِلَى أَصْلٍ أَجْنَبِيٍّ[١٠٩]؛ كَمَا لَا يُجْدِي - مِنَ المُسْتَشْرِقِ جِيرْهَارْدَ - ادِّعَاءُ أَصَالَةِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِمُجَرَّدِ التَّعْلِيلِ بِأَنَّ نَشْأَتَهُ كَانَتْ لِمُقْتَضَيَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ، وأَنَّ مَنَاهِجَهُ تَشَكَّلَتْ حَسْبَ قَوَانِينِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ[١١٠]، وبِأَنَّ طَبِيعَةَ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ لَمْ تَتَأَثَّرْ بِنُفُوذِ اللُّغَاتِ المُعَايِشَةِ لَهُ، وبِتَقْرِيرِ أَنَّ النَّحْوِيِّينَ انْصَرَفُوا عَنْ تَقْرِيرِ «المَوْضُوعِ» و «المَحْمُولِ» المُنْطَقِيَّيْنِ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ وجُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ[١١١]؛ فَإِنَّا - مَعَ إِيمَانِنَا بِصِحَّةِ ذَلِكَ كُلِّهِ - لَا نَرَاهُ حُجَّةً عَلَى المُخَالِفِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابًا تَشْرِيحِيًّا لِأَصْلِ اللُّغَةِ وقَوَانِينِهَا، ونَحْوِهَا.

وإِنَّمَا الجَوَابُ فِيمَا ذَكَرَتْهُ الدُّكْتُورَةُ دَلِيلَةُ مَزَوزُ مِنْ أَنَّ المَنْطِقَ لَمْ يَكُنْ مَطْلَبًا أَوَّلِيًا فِي النَّحْوِ، وإِنَّمَا اشْتَغَلَ بِهِ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ فِي القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ، بَعْدَ أَنْ ثَبَتَتْ أَرْكَانُ النَّحْوِ، وصَارَ عِلْمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ، فَانْبَرَى مِنْهُمْ مَنْ حَذَّرَ مِنْ خَطَرِ خَلْطِهِ بِالنَّحْوِ، كَالزَّجَّاجِيِّ الَّذِي قَرَّرَ أَنَّ غَرَضَ المَنْطِقِيِّينَ غَيْرُ غَرَضِنَا، ومَغْزَاهُمْ غَيْرُ مَغْزَانَا[١١٢].

وبِمَا عَقَّبَ بِهِ «جِيرْهَارْدُ» مِنْ أَنَّ وُجُودَ الحُدُودِ المَنْطِقِيَّةِ عِنْدَ بَعْضِ المُتَأَخِّرِينَ - كَالزَّمَخْشَرِيِّ - لَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَى أُصُولِ النَّحْوِيِّينَ القُدَمَاءِ[١١٣]، وبِأَنَّ أَرْبَابَ الفَلْسَفَةِ والمَنْطِقِ المُتَقَدِّمِينَ تَبَرَّأُوا مِنْ أَنْ يَكُونَ النَّحْوُ مِنْ صِنَاعَتِهِمْ، لِأَنَّهُ - حَسْبَ مَا

---

(١٠٩) أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب (عالم الكتب ط الثامنة) / ٣٥٤.

(١١٠) المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / ١٠٧.

(١١١) المرجع السابق / ١٠٨.

(١١٢) دليلة مازوز، الأحكام النحوية بين النحاة و علماء الدلالة دراسة تحليلية نقدية / ٦٠.

(١١٣) المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / ١٠٨.

يَنْقُلُ عَنِ السَّرَخْسِيِّ تِلْمِيذِ الكِنْدِيِّ - مُخْتَصٌّ بِلُغَةِ العَرَبِ، ولَيْسَ نَحْوًا عَقْلِيًّا كُلِّيًّا[١١٤]، وأَنَّ الحُكَمَاءَ - حَسْبَ مَا يَنْقُلُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ - لَا يَرَوْنَ النَّحْوَ دَاخِلًا فِي حِكْمَتِهِمْ، ولَا الحَاذِقَ بِهِ حَكِيمًا[١١٥]، لِأَنَّ النَّحْوَ - حَسْبَ مَا يَنْقُلُ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ المُتَكَلِّمِ الإِسْمَاعِيلِيِّ - لَا يَنْدَرِجُ فِي العُلُومِ الِاضْطِرَارِيَّةِ، وإِنَّمَا قَوَاعِدُهُ مُصْطَلَحٌ عَلَيْهَا بِتَوَاطُؤِ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ[١١٦]، ولِأَنَّهُ - حَسْبَ مَا يَنْقُلُ عَنِ يَحْيَى بنِ عَدِيٍّ الفَيْلَسُوفِ النَّصْرَانِيِّ - يُعْنَى بِالأَلْفَاظِ تَحْرِيكًا وتَسْكِينًا بِحَسْبِ تَحْرِيكِ العَرَبِ و تَسْكِينِهِمْ، وأَمَّا المَنْطِقُ فَيُعْنَى بِصِنَاعَةِ الأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الأُمُورِ الكُلِّيَّةِ[١١٧]، فَلَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ مُعْرَبٍ وَاضِحًا لَا لَبْسَ فِيهِ، لَكِنَّ كُلَّ مَا قَامَ عَلَى البُرْهَانِ المَنْطِقِيِّ الصَّادِقِ مُوصِلٌ إِلَى اليَقِينِ[١١٨]، ولِأَنَّهُ - حَسْبَ مَا نَقَلَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ المَنْطِقِيِّ - يُحَقِّقُ المَعْنَى بِاللَّفْظِ، وأَمَّا المَنْطِقُ فَيُحَقِّقُ المَعْنَى بِالعَقْلِ[١١٩]، فَكُلُّ مَا يُعْطِينَا النَّحْوُ مِنَ القَوَانِينِ فِي الأَلْفَاظِ فَإِنَّ المَنْطِقَ - حَسْبَ مَا نَقَلَ عَنِ الفَارَابِيِّ - يُعْطِينَا نَظَائِرَهَا فِي المَعْقُولَاتِ، فَقَوَانِينُ الأَلْفَاظِ تَخْتَصُّ بِأُمَّةٍ مَا، وقَوَانِينُ المَعَانِي مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الأُمَمِ[١٢٠].

---

(١١٤) المرجع السابق / ١١٠.

(١١٥) المرجع السابق / ١١١.

(١١٦) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(١١٧) المرجع السابق / ١١٤.

(١١٨) المرجع السابق / ١١٤ – ١١٥.

(١١٩) المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / ١١٦.

(١٢٠) المرجع السابق / ١١٧ – ١١٨.

الأَمْرُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا التَّأَثُّرُ العَقْلِيُّ الجَمْعِيُّ - وَهُوَ تَطَوُّرُ العَقْلِيَّةِ العَرَبِيَّةِ بِسَبَبِ احْتِكَاكِهَا بِشُعُوبٍ شَتَّى - والتَّأَثُّرُ الفَنِّيُّ - وَهُوَ تَأَثُّرُ أَحَدِ الفُنُونِ بِفَنٍّ أَجْنَبِيٍّ تَأَثُّرًا مُبَاشِرًا -.

فَالحَضَارَاتُ المُتَوَالِيَةُ والمُتَعَاصِرَةُ فِي العِرَاقِ ومَا حَوْلَهُ - مِنْ بَابِلِيَّةٍ، وآشُورِيَّةٍ، وكِلْدَانِيَّةٍ، وفَارِسِيَّةٍ، ويُونَانِيَّةٍ، وسِرْيَانِيَّةٍ - انْعَكَسَتْ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ فِكْرٍ مُلْتَئِمٍ ومُتَبَايِنٍ عَلَى العَقْلِ العَرَبِيِّ، كَمَا أَنَّ تِلْكَ الحَضَارَاتِ أَفَادَتْ مِنَ العَقْلِ العَرَبِيِّ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ، فَالأَمْرُ إِذَنْ تَأَثُّرٌ وتَأْثِيرٌ.

ولَا يَفْتَرِقُ الأَمْرُ فِي شَأْنِ المَوَالِي المُعَايِشِينَ لِلْعَرَبِ بَعْدَ البِعْثَةِ - مِمَّنْ قَدِمُوا مِنْ أَصْقَاعٍ وأَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ: مِنْ هِنْدِيَّةٍ، وفَارِسِيَّةٍ، ورُومِيَّةٍ، وسِرْيَانِيَّةٍ، ونَبْطِيَّةٍ، وغَيْرِ ذَلِكَ - فَإِنَّ تِلْكَ المُعَايَشَةَ كَانَ لَهَا أَثَرٌ غَيْرُ مَجْحُودٍ فِي التَّكَامُلِ المَعْرِفِيِّ بِمَا قَدِمَتْ بِهِ - أَوْ لَقِيَتْهُ لَدَى العَرَبِ - مِنْ ثَقَافَةٍ عِلْمِيَّةٍ أَوْ نَقْدِيَّةٍ أَوْ جَدَلِيَّةٍ.

ولَكَ أَنْ تَقُولَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أَمْرِ البَصْرَةِ؛ إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بُقْعَةً جُغْرَافِيةً مُهِمَّةً، جَعَلَتْهَا مَرْكَزًا اقْتِصَادِيًّا نَشِطًا، ومَرْتَعًا فِكْرِيًّا فَعَّالًا، وَرَّثَتْهُمَا فِيمَا بَعْدُ بَغْدَادَ حِينَ صَارَتْ عَاصِمَةَ الخِلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

فَهَذِهِ الأُمُورُ الثَّلَاثَةُ -وَهِيَ الَّتِي يَكْثُرُ دَوَرَانُهَا عَلَى أَلْسِنَةِ أَصْحَابِ القَوْلِ بِالتَّأَثُّرِ - لَا أَحَدَ يُنْكِرُ أَثَرَهَا فِي العَقْلِ الجَمْعِيِّ، كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي سَائِرِ خَلْقِهِ، وَهُوَ أَثَرٌ لَا يَبْرُزُ فِي يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، وإِنَّمَا يَنْبُتُ فِي الفِكْرِ الجَمْعِيِّ كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ، يَكَادُ لَا يَشْعُرُ بِهِ المُعَايِشُ لَهُ، ومِثْلُ هَذَا التَّأَثُّرِ لَا يَصِحُّ - فِي المَنْهَجِ العِلْمِيِّ - أَنْ يُقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى عِلْمٍ دُونَ آخَرَ، ولَا أَنْ يُجْعَلَ نَتَاجُهُ مَنْسُوبًا إِلَى أَجْنَبِيٍّ؛ فَإِنَّ التَّأَثُّرَ غَيْرَ المَلْحُوظِ يَظَلُّ يُلَازِمُ المُجْتَمَعَ حَتَّى يَكُونَ جُزْءًا مِنْهُ، ومَعْلُومٌ أَنَّ التَّطَوُّرَ المَعْرِفِيَّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّكَامُلِ والتَّشَارُكِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، فَهُوَ إِرْثٌ لِلْجَمِيعِ، لَا يَخْتَصُّ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، فَالعَقْلُ

اللُّغَوِيُّ فِي القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ - حَسْبَ مُقْتَضَى السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ - يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَقَارِبًا، فَقَدْ يَتَعَاصَرُ وَضْعُ النَّحْوِ لَدَى العَرَبِ ووَضْعُهُ لَدَى السِّرْيَانِ والهُنُودِ وغَيْرِهِمْ، ورُبَّمَا تَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسِيرًا تَبَعًا لِلْحَاجَةِ، إِلَّا أَنَّ فِكْرَ هَؤُلَاءِ كَانَ مُهَيَّأً لِوَضْعِهِ ولَوْ تَقَدَّمَهُ أُولَئِكَ فِي الوَضْعِ، ولَعَلَّ المِثَالَ الحَاضِرَ الَّذِي يَكْشِفُ المَغْزَى عِلْمُ العَرُوضِ؛ فَإِنَّهُ نَشَأَ فِي القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ لَدَى شَعْبٍ مِنَ الشُّعُوبِ، لَكِنَّ العَقْلَ اللُّغَوِيَّ لَدَى الخَلِيلِ كَانَ قَدْ صُقِلَ بِتَجَارِبِ الأُمَمِ أَجْمَعَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَأَثُّرُ الخَلِيلِ بِالثَّقَافَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ مُسَوِّغًا أَنْ يُنْسَبَ عِلْمُ العَرُوضِ إِلَى أَثَرٍ أَجْنَبِيٍّ.

الأَمْرُ الخَامِسُ: أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا هُوَ فَهْمٌ خَاصٌّ، ومَا هُوَ ضَرُورَةٌ، ولِهَذَا لَا أَرَى مَا افْتَرَضَهُ الحَاجُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - مِنْ ضَرُورَةِ مُرُورِ زَمَنٍ طَوِيلٍ تَتَكَوَّنُ فِيهِ المَقَايِيسُ النَّحْوِيَّةُ لِإِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ[١٢١] - دَلِيلًا قَاطِعًا فِي رَدِّ دَعْوَى التَّأَثُّرِ، بَلْهَ أَنْ يَكُونَ ضَرُورَةً؛ إِذْ لَا ارْتِبَاطَ بَيْنَ التَّأَثُّرِ ومُرُورِ زَمَنٍ طَوِيلٍ تَتَكَوَّنُ فِيهِ المَقَايِيسُ؛ فَإِنَّ نَقْلَ تَأْصِيلِ الكَلَامِ فِي لُغَةٍ مَا إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى مَقْبُولٌ عَقْلًا وواقِعًا؛ أَمَّا عَقْلًا فَلِأَنَّ الفِكْرَ الإِنْسَانِيَّ وَاحِدٌ، فَلَا بُدَّ -إِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَقَارُبٌ بَيْنَ جَمَاعَاتِ جِنْسِهِ فِي تَكْوِينِ لُغَةِ التَّخَاطُبِ - أَنْ نَجِدَ تَقَارُبًا فِي الحُدُودِ المُعَرِّفَةِ لِقَوَانِينِ لِسَانِهِ، لَنْ نَعْدَمَ حِينَئِذٍ حِيلَةً إِلَى نَفْيِ الفَوَارِقِ، وأَمَّا وَاقِعًا؛ فَإِنَّ العِبْرِيَّةَ الحَدِيثَةَ قَامَتْ عَلَى نُتَفٍ مِنَ العِبْرَانِيَةِ القَدِيمَةِ لَا تَقْوَى أَنْ تُشَكِّلَ نِظَامًا، وإِنَّمَا بُعِثَتْ فِي زَمَنٍ وَجِيزٍ عَلَى قَوَانِينِ لُغَاتٍ أُخْرَى، فِي

(١٢١) دليلة مازوز، الأحكام النحوية بين النحاة و علماء الدلالة دراسة تحليلية نقدية / ٥٨ – ٥٩، نقلا عن مقاله المشار إليه «النحو العربي ومنطق أرسطو».

مُقَدِّمَتِهَا العَرَبِيَّةُ[١٢٢]، وإِذَا أَمْكَنَ النَّقْلُ؛ أَمْكَنَ إِيجَادُ نِظَامٍ تَامٍّ سَوِيٍّ الخَلْقِ لِلُّغَةِ المَنْقُولِ إِلَيْهَا فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ، وإِنَّمَا الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى زَمَنٍ طَوِيلٍ التَّأَثُّرُ اللُّغَوِيُّ، وفَرْقٌ بَيْنَ اللُّغَةِ وتَوْصِيفِهَا.

الأَمْرُ السَّادِسُ: أَنَّ مَا يُورِدُهُ المُسْتَشْرِقُونَ يَجِبُ التَّأَنِّي فِي قَبُولِهِ، وعَدَمُ الِاطْمِئْنَانِ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارِهِ وعَرْضِهِ عَلَى المَصَادِرِ، ولِهَذَا لَمَّا قَالَ المُسْتَشْرِقُ دِي بُورُ: «وابنُ المُقَفَّعِ - الَّذِي كَانَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ صَدِيقًا لِلْخَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ - يَسَّرَ لِلْعَرَبِ الِاطِّلَاعَ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ مِنَ اللُّغَةِ الفَهْلَوِيَّةِ مِنْ أَبْحَاثٍ لُغَوِيَّةٍ ومَنْطِقِيَّةٍ»[١٢٣]، كَانَ لِزَامًا عَلَى المُحَقِّقِ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْ صِحَّةِ تِلْكَ الصَّدَاقَةِ، بَلْهَ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى ثُبُوتِهَا تِلْكَ النَّتِيجَةَ، وقَدْ أَخَذَ شَوْقِي ضِيفٌ هَذِهِ المَقُولَةَ مِنْ دُي بُورَ أَمْرًا مُسَلَّمًا؛ فَقَالَ: «ويَظْهَرُ أَنَّ الخَلِيلَ كَانَ يُتْقِنُ المَنْطِقَ الَّذِي تَرْجَمَهُ صَدِيقُهُ ابنُ المُقَفَّعِ ومَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ القِيَاسِ»[١٢٤].

وأَمَّا الدُّكْتُورُ مَهْدِي المَخْزُومِيُّ؛ فَاخْتَبَرَهَا، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ مُلَازِمًا لِلْخَلِيلِ، ولَا صَدِيقًا لَهُ، ولَمْ يَذْكُرِ الَّذِينَ أَرَّخُوا لِلْخَلِيلِ ولِابنِ المُقَفَّعِ أَنَّهُمَا كَانَا مُتَصَادِقَيْنِ، أَوْ

---

(١٢٢) جاء في دائرة المعارف اليهودية في مادة (GRAMAR) : «إن الحافز لدراسة الفلوجي العبري قد قوِيَ بعامل خارجي، وبالتحديد بالمثال الذي قدمته اللغة العربية، وقد استمرت اللغة العربية تؤثر على علم اللغة العبري، وكان النموذج العربي هو الذي احتذاه العبرانيون ثم طُوروه».

ينظر: أثر النحو العربي في الدراسات اللغوية الغربية، لصلاح حسن رشيد:

http://www.odabasham.net/%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A/14710-%D8%A3%D8%AB%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%84

(١٢٣) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام(ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده) / ٥٨.

(١٢٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول(دار المعارف – ط ١٦) / ١٢٢.

مُتَلَازِمَيْنِ، وكُلُّ الَّذِي ذَكَرُوهُ أَنَّ ابنَ المُقَفَّعِ كَانَ يَوَدُّ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَى الخَلِيلِ، وقَدْ هَيَّأَ لَهُ هَذَا الِاجْتِمَاعَ بَعْضُ أَصْحَابِ الخَلِيلِ، فَتَذَاكَرَا لَيْلَةً تَامَّةً.. وَهُوَ خَبَرٌ.. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابنَ المُقَفَّعِ لَمْ يَكُنْ صَدِيقًا لِلْخَلِيلِ، فَلَوْ كَانَ صَدِيقًا لَهُ لَمَا احْتَاجَ إِلَى وَسِيطٍ يُهَيِّءُ لَهُ الِاتِّصَالَ بِهِ»[١٢٥].

ثُمَّ لَكَ أَنْ تَزِيدَ أَنَّ القِيَاسَ لَمْ يَبْدَأَ مِنَ الخَلِيلِ؛ فَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ أَبِي إِسْحَاقَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ شُهِرَ بِهِ، فَهُوَ - كَمَا يَقُولُ الزُّبَيْدِيُّ - أَوَّلُ مَنْ بَعَجَ النَّحْوَ، ومَدَّ القِيَاسَ، وشَرَحَ العِلَلَ، وكَانَ مَائِلًا إِلَى القِيَاسِ فِي النَّحْوِ[١٢٦]، وحَكَى يُونُسُ قَالَ: «قُلْتُ لَهُ -يَعْنِي ابنَ أَبِي إِسْحَاقَ -: هَلْ يَقُولُ أَحَدٌ «الصَّوِيقَ» -يَعْنِي السَّوِيقَ -؟ قَالَ: نَعَمْ، عَمْرُو بنُ تَمِيمٍ تَقُولُهَا، ومَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا؟ عَلَيْكَ بِبَابٍ مِنَ النَّحْوِ يَطَّرِدُ ويَنْقَاسُ»[١٢٧]، وكَانَتْ وَفَاةُ ابنِ أَبِي إِسْحَاقَ سَنَةَ ١١٧، أَيْ: حِينَ كَانَ ابنُ المُقَفَّعِ فِي الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ١٠٦.

الأَمْرُ السَّابِعُ: أَنَّه لَيْسَ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي شَيْءٍ إِثْبَاتُ التَّأَثُّرِ بِالمَنْطِقِ، والدَّعْوَةُ إِلَى إِبْقَاءِ قَدْرٍ مِنْهُ؛ فَإِنَّ حَدِيثَنَا عَنْ ثُبُوتِ التَّأَثُّرِ وعَدَمِ ثُبُوتِهِ، فَعَبَّاسٌ حَسَنٌ - فِيمَا يَرَى الدُّكْتُورُ حَسَنٌ مِنْدِيلٌ العُقَيْلِيُّ - أَخَذَ مَوْقِفًا وَسَطًا؛ «إِذْ لَمْ يَدْعُ إِلَى فَصْلِ النَّحْوِ مِنَ المَنْطِقِ، وإِنَّمَا أَخَذَ عَلَى بَعْضِ النُّحَاةِ مُغَالَاتَهُمْ فِي مَزْجِ النَّحْوِ بِالمَنْطِقِ»[١٢٨]، فَهُوَ -

---

(١٢٥) مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقري من البصرة(ط الثانية – دار الشؤون الثقافية) / ٨٧ – ٨٨.

(١٢٦) الزبيدي، طبقات اللغويين والنحويين / ٣١.

(١٢٧) الزبيدي، طبقات اللغويين والنحويين / ٣٢.

(١٢٨) د. حسن منديل حسن العقيلي، «تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد، الأستاذ عباس حسن أنموذجا» (شبكة صوت العربية) :

http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_content&view=article&id=659:2010-06-25-12-06-58&Itemid=337

حَقِيقَةً -يُثْبِتُ تَأَثُّرَ النُّحَاةِ بِالمَنْطِقِ، يَقُولُ - بَعْدَ ذِكْرِ أَقْسَامِ الكَلَامِ -: «تَعَوَّدَ النُّحَاةُ - بَعْدَ الكَلَامِ عَلَى الأَنْوَاعِ الأَرْبَعَةِ السَّابِقَةِ - أَنْ يُوَازِنُوا بَيْنَهَا مُوَازَنَةً أَسَاسُهَا «عِلْمُ المَنْطِقِ»، ويُطِيلُوا فِيهَا الجَدَلَ المُرْهِقَ، مَعَ أَنَّ المَوْضُوعَ فِي غِنًى عَنِ المُوَازَنَةِ؛ لِبُعْدِ صِلَتِهَا بِالنَّحْوِ»[١٢٩]، ويَقُولُ - فِي مَوْضِعٍ آخَرَ -: «يُعَدُّ بَابُ «التَّنَازُعِ» مِنْ أَكْثَرِ الأَبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ اضْطِرَابًا، وتَعْقِيدًا، وخُضُوعًا لِفَلْسَفَةٍ عَقْلِيَّةٍ خَيَالِيَّةٍ، لَيْسَتْ قَوِيَّةَ السَّنَدِ بِالكَلَامِ المَأْثُورِ الفَصِيحِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَتْ مُنَاقِضَةً لَهُ»[١٣٠]، ومَعْلُومٌ أَنَّ جُلَّ تِلْكَ التَّقْسِيمَاتِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا قَدْ ذَكَرَهَا سِيبَوَيْهِ فِي كِتَابِهِ، فَتَأَثُّرُ النَّحْوِ بِالمَنْطِقِ - فِي رَأْيِهِ - صَاحَبَ نَشْأَةَ التَّصْنِيفِ فِي النَّحْوِ، فَأَيْنَ مَا يَذْكُرُ الدُّكْتُورُ مِنَ المَوْقِفِ الوَسَطِ؟ وإِنَّمَا المَذْهَبُ الوَسَطُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ المُسْتَشْرِقُ لِيتْمَانُ[١٣١]؛ فَإِنَّهُ قَالَ: «ونَحْنُ نَذْهَبُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ مَذْهَبًا وَسَطًا.. وَهُوَ أَنَّهُ أَبْدَعَ العَرَبُ عِلْمَ النَّحْوِ فِي الِابْتِدَاءِ ، وأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي كِتَابِ سِيبَوَيْهِ إِلَّا مَا اخْتَرَعَهُ هُوَ والَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ ، ولَكِنْ لَمَّا تَعَلَّمَ العَرَبُ الفَلْسَفَةَ اليُونَانِيَّةَ مِنَ السِّرْيَانِ فِي بِلَادِ العِرَاقِ ، تَعَلَّمُوا أَيْضًا شَيْئًا مِنَ النَّحْوِ، وَهُوَ النَّحْوُ الَّذِي كَتَبَهُ أَرِسْطَاطَالِيسُ»[١٣٢].

---

(١٢٩) النحو الوافي ١ / ١٨.

(١٣٠) النحو الوافي ٢ / ٢٠١.

(١٣١) إينو ليتمان: مستشرق ألماني، ألف بالعربية كتبا، منها «قصص في اللغة الدارجة»، تلمذ له طه حسين في المقارنة بين اللغة العربية واللغات السامية، وكان يصف طه حسينا بأنه ألمع طلبته في الجامعة المصرية، وتلمذ له – أيضا – رودي بارت، صاحب «محمد والقرآن»، مات سنة ١٩٥٨.

ينظر: موسوعة الملل والأديان، لمجموعة من الباحثين بإشراف عَلوي السقاف، ٢ / ٧٢، «طه حسين في مرحلة التكوين» لرجب البنا، موسوعة ويكيبيديا:

http://www.ragabelbanna.com/R8920PLcdf8gggggggfgjjhgd965WDKO9D.htm

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D9%86%D9%88_%D9%84%D9%8A%D8%AA%D9%85%D8%A7%D9%86

(١٣٢) أحمد أمين، فجر الإسلام(مؤسسة هنداوي) / ١١٤.

نَعَمْ عَبَّاسٌ حَسَنٌ مُتَوَسِّطٌ فِي المُطَالَبَةِ، لَا فِي أَصْلِ الرَّأْيِ، فَهُوَ - لَمَّا أَثْبَتَ التَّأَثُّرَ بِالمَنْطِقِ - لَمْ يُطَالِبْ بِاجْتِثَاثِ المَنْطِقِ مِنَ النَّحْوِ، وإِنَّمَا دَعَا إِلَى التَّخَفُّفِ مِنْهُ، فَمَوْقِفُهُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ كَمَوْقِفِهِ فِي قَضِيَّةِ العَامِلِ حِينَ أَثْنَى عَلَيْهَا(١٣٣)، وانْتَقَدَهَا(١٣٤).

ولَمْ يُقَدِّمْ عَبَّاسٌ حَسَنٌ - فِي إِثْبَاتِ التَّأَثُّرِ - حُجَّةً ظَاهِرَةً يُمْكِنُ أَنْ تُنَاقَشَ، وإِنَّمَا بَنَى حُكْمَهُ عَلَى مَا فِي مَسَائِلِ النَّحْوِ مِنْ تَعْقِيدٍ، وخَيَالٍ، وطُولِ جَدَلٍ، ومُرَادُهُ بِالتَّعْقِيدِ والجَدَلِ والخَيَالِ يَتَجَلَّى فِي حَدِيثِهِ عَنْ مَنْعِ الِاسْمِ مِنَ الصَّرْفِ لِعِلَّتَيْنِ، فَإِنَّهُ انْتَقَدَ فِيهِ النَّحْوِيِّينَ نَقْدًا لَاذِعًا؛ ابْتِدَاءً مِنْ جَعْلِهِمُ «التَّنْوِينَ مِنْ خَوَاصِّ الأَسْمَاءِ»، وتَعْلِيلِهِمْ: «بِأَنَّ الحَرْفَ مَبْنِيٌّ، والفِعْلَ فِيهِ ضَعْفَانِ: لَفْظِيٌّ لِكَوْنِهِ فَرْعًا عَنِ المَصْدَرِ، ومَعْنَوِيٌّ لِكَوْنِهِ مُحْتَاجًا إِلَى الِاسْمِ فِي الإِسْنَادِ، ولِضَعْفِهِ لَا يَسْتَحِقُّ التَّنْوِينَ رَمْزَ القُوَّةِ»، وبِنَائِهِمْ عَلَى ذَلِكَ «البِنَاءَ والمَنْعَ مِنَ الصَّرْفِ»؛ بِقَوْلِهِمْ: «مَتَى أَشْبَهَ الِاسْمُ

---

(١٣٣) قال – في النحو الوافي ٤ / ٢٧٧ –: «إن نظرية العامل التي ابتكرها النحاة نظرية بارعة عظيمة، ودليل نبوغ وعبقرية»، قال: «وطالما امتدحناها، ولم ننكر من أمرها إلا التعسف – بغير داع – في تطبيقها، وهذا هو العرض المعيب في جوهرها النفيس»، وقال – في النحو الوافي ٢ / ٣٣٧ –: «إنما لا عيب فيها إلا ما قد يشوبها في قليل من الأحيان من مثل هذه الهنوات».إذ يمنحه سلطانًا قويًا يتحكم به في صياغة الأسلوب، أو ضبطه، بغير سند يؤيده من فصيح الكلام».

(١٣٤) حاول أن يتوسط فصرح أنه لم يرتض أمر الغالين فيه، ولا رأي المغالين في ذمه، فقال – في النحو الوافي النحو الوافي ١ / ٧٣ –: «ولم تر بين المتكلمين من راعي جانب الاعتدال والإنصاف»، وذكر أن قوى طعن على النحاة نسبتهم العمل إلى العامل وحده، ولما لم يجدوه في بعض التراكيب العربية الصحيحة اضطروا إلى تقديره تكلفا وتعسفا، ثم قال – في الصفحة نفسها –: «والحق أن النحاة أبرياء مما اتهموا به، بل أذكياء، بارعون فيما قرروه بشأن: نظرية العامل، فقد قامت على أساس يوافق خير أسس التربية الحديثة لتعليم اللغة، وضبط قواعدها، وتيسير استعمالها»، لكنه لم يلبث أن اقترب من هؤلاء في جانب مما ذكروه إذ جعل العوامل كالمؤثرات، فقال – في النحو الوافي ٢ / ٢٠٢ –: «ولا يبيحون أن يكون لفظ «محمد» فاعلا؛ بحجة أن العوامل كالمؤثرات، فلا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد».

الحَرْفَ بُنِيَ، ومَتَى أَشْبَهَ الفِعْلَ ضَعُفَ فَمُنِعَ الصَّرْفَ الَّذِي هُوَ التَّنْوِينُ»، وانْتِهَاءً بِجَعْلِهِمْ «وَجْهَ الشَّبَهِ الضَّعْفَ مِنْ جِهَتَيْنِ، فَفَاطِمَةُ ضَعِيفٌ لَفْظًا؛ لِأَنَّ التَّأْنِيثَ فَرْعُ التَّذْكِيرِ، وضَعِيفٌ مَعْنًى؛ لِأَنَّ العَلَمِيَّةَ فَرْعُ التَّنْكِيرِ، وجَرْحَى، وصَحْرَاءُ، ومَسَاجِدُ: فِيهَا ضَعْفٌ فِي قُوَّةِ ضَعْفَيْنِ؛ فَإِنَّ أَلِفَ التَّأْنِيثِ عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ، ومُلَازَمَتَهَا لِلِاسْمِ عِلَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وخُرُوجَ صِيغَةِ مُنْتَهَى الجُمُوعِ عَنْ أَوْزَانِ الآحَادِ العَرَبِيَّةِ عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ[١٣٥]، ودَلَالَتَهَا عَلَى الجَمْعِ عِلَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ»[١٣٦].

ثُمَّ قَالَ: «وقَوْلُهُمْ بَادِي التَّكَلُّفِ والصَّنْعَةِ» إِلَى أَنْ قَالَ: «ثُمَّ أَوْضَحْنَا بَعْدَهُ أَنَّ التَّعْلِيلَ الحَقَّ فِي «الصَّرْفِ» وفِي مَنْعِهِ هُوَ كَلَامُ العَرَبِ الأَوَائِلِ، واسْتِعْمَالُهُمُ الصَّحِيحُ الوَارِدُ إِلَيْنَا، والَّذِي نُحَاكِيهِ»[١٣٧].

فَكَانَ مَغْزَى تَحْوِيمِهِ أَنَّ تَعْلِيلَ النَّحْوِيِّينَ لِمَنْعِ الصَّرْفِ وَاهٍ، وأَنَّ التَّعْلِيلَ الصَّحِيحَ لَهُ كَوْنُهُ مَسْمُوعًا عَنِ العَرَبِ، ولَيْسَ سِرًّا - عِنْدَ أَهْلِ الِاخْتِصَاصِ - أَنَّ النَّحْوِيِّينَ قَضَّهَمُ وقَضِيضَهَمُ يَرَوْنَ أَنَّ العِلَّةَ هِيَ اسْتِعْمَالُ العَرَبِ، وإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَجِدُوا عِلَلًا يَقِيسُ عَلَيْهَا المُتَأَخِّرُ؛ فَمَا ذَكَرَهُ مِنْ كَوْنِهِ يُرِيدُ أَنْ يُحَاكِيَ العَرَبَ هُوَ دَعْوَى النَّحْوِيِّينَ أَيْضًا، ولَكِنْ يَخْتَلِفُ أُسْلُوبُ الكَلَامِ.

ولَسْتُ بِالَّذِي يُخَالِفُهُ فِي أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ فِي بَابِ «المَنْعِ مِنَ الصَّرْفِ» أَوْهَى أَقْيِسَتِهِمْ، ولَكِنَّ الفِكْرَ النَّحْوِيَّ لَمْ يَجِدْ قِيَاسًا يَجْمَعُ جُلَّ مَا وَرَدَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ مَمْنُوعًا إِلَّا هَذَا، فَإِنْ فُتِحَ لِأَحَدٍ تَعْلِيلٌ أَوْفَقُ مِنْ هَذَا قُبِلَ، وإِلَّا فَلَا، ولِهَذَا لَمْ يَجِدْ عَبَّاسُ حَسَنٌ قِيَاسًا يَجْمَعُ شَمْلَ البَابِ؛ فَعَوَّلَ فِي تَعْلِيلِ المَنْعِ عَلَى مَا سَطَّرَهُ النَّحْوِيُّونَ.

---

(١٣٥) النحو الوافي ٤ / ٢٠٤.

(١٣٦) المرجع السابق ٤ / ٢٠٥.

(١٣٧) المرجع السابق ٤ / ٢٠٥.

ويَجِبُ الوُقُوفُ عِنْدَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ المُفْتَرَضَ عَلَى النَّحْوِيِّ أَنْ يُعَلِّلَ بِالنَّظِيرِ فِي كَلَامِ العَرَبِ، والمُحَاكَاةِ لَهُ؛ فَإِنَّ الجُنُوحَ إِلَى التَّعْلِيلِ بِنُطْقِ العَرَبِ هُوَ مَبْدَأُ كُلِّ مَنْ اعْتَرَضَ تَعْلِيلَ النَّحْوِيِّينَ، فَإِذَا أَعْطَيْتَهُمْ يَدَكَ لِعَرْضِ كَلَامِ النَّاطِقِ عَلَى كَلَامِ العَرَبِ، وسَأَلْتَهُمُ الوَسِيلَةَ؛ لَمْ يَجِدُوا بُدًّا مِنَ اللُّجُوءِ إِلَى عِلَلِ النَّحْوِيِّينَ مَعَ تَغْيِيرِ أَسْمَائِهَا، كَأَنْ يَقُولُوا: «نَحْمِلُ الشَّيْءَ عَلَى نَظِيرِهِ»، فَإِذَا طُولِبُوا بِالفَرْقِ، وقُرِّرُوا بِأَنَّ التَّنْظِيرَ هُوَ قِيَاسُ الشَّيْءِ عَلَى نَظِيرِهِ؛ قَالُوا: لَا نَمْنَعُ مِنَ العِلَلِ الأُولَى، كَرَفْعِ الِاسْمِ لِكَوْنِهِ فَاعِلًا -وهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا عَبَّاسٌ حَسَنٌ العِلَلَ التَّنْظِيرِيَّةَ - وإِنَّمَا اعْتَرَضْنَا العِلَلَ الثَّوَانِيَ(=القِيَاسِيَّةَ)، والثَّوالِثَ(= الجَدَلِيَّةَ)، واسْتَغْنَيْنَا عَنْهَا بِأَنْ يُقَالَ: سُمِعَتْ هَكَذَا عَنِ العَرَبِ.

وحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنَّهُمْ سَلَّمُوا بِاقْتِضَاءِ القَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ، ودَعَوْا إِلَى إِخْفَاءِ العِلَلِ العَمِيقَةِ، فَإِنْ أَرَادُوا إِرَاحَةَ المُبْتَدِئِينَ مِنْهَا؛ فَكَانَ يَلْزَمُهُمْ أَنْ يَخْتَصِرُوا الكَلَامَ مِنْ مَبْدَئِهِ، ويَسْأَلُوا إِزَالَةَ العِلَلِ الثَّوَانِي والثَّوالِثِ، دُونَ اتِّهَامٍ لِصَرْحِ النَّحْوِ، وإِنْ أَرَادُوا اطِّرَاحَهَا مِنَ العِلْمِ كُلِّهِ؛ كَانُوا مُنَادِينَ بِالإِبْقَاءِ عَلَى الجَهْلِ، وقَدْ ظَلَّ المُتَقَدِّمُونَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى مُنْتَصَفِ القَرْنِ الثَّالِثِ لَا يَعْرِفُونَ الحُدُودَ المَنْطِقِيَّةَ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ، وإِنَّمَا أَخَذَ الحَدُّ المَنْطِقِيُّ فِي الدُّخُولِ إِلَى عَالَمِ النَّحْوِ فِي الشَّطْرِ الأَخِيرِ مِنَ القَرْنِ الثَّالِثِ، قَالَ الزَّجَاجِيُّ: «ولِأَنَّ المَنْطِقِيِّينَ وبَعضَ النَّحْوِيِّينَ قَدْ حَدُّوهُ حَدًّا خَارِجًا عَنْ أَوْضَاعِ النَّحْوِ، فَقَالُوا: الِاسْمُ صَوْتٌ، مَوْضُوعٌ، دَالٌّ - بِاتِّفَاقٍ - عَلَى مَعْنًى غَيْرِ مَقْرُونٍ بِزَمَانٍ، ولَيْسَ هَذَا مِنْ أَلْفَاظِ النَّحْوِيِّينَ، ولَا أَوْضَاعِهِمْ، وإِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ المَنْطِقِيِّينَ، وإِنْ كَانَ قَدْ تَعَلَّقَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ»[(١٣٨)].

(١٣٨) الإيضاح في علل النحويين / ٤٨.

فَلَيْسَ أَحَدٌ -مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُسَلِّمُونَ أَصَالَةَ نَشْأَتِهِ - يَنْفِي أَنْ يَكُونَ النَّحْوُ كَسَائِرِ العُلُومِ العَرَبِيَّةِ -شَرْعِيِّهَا وإِنْسَانِيِّهَا - قَدْ دَخَلَهُ المَنْطِقُ، لَكِنَّهُمْ يَقْصُرُونَ أَثَرَهُ عَلَى الحُدُودِ، وبَعْضِ العِلَلِ لَدَى البَغْدَادِيِّينَ المُتَأَخِّرِينَ، فَمَنْ بَعْدَهُمْ، ولَا يَرْتَابُونَ أَنَّ أُصُولَ تَعْلِيلِ هَذَا العِلْمِ، وأَقْيِسَتَهُ؛ عَرَبِيَّةٌ مَحْضَةٌ؛ لِأَنَّ المَنْطِقَ طَرَأَ عَلَيْهِ فِي نِهَايَاتِ القَرْنِ الثَّالِثِ، بَعْدَ أَنِ اسْتَوَى النَّحْوُ عَلَى عُودِهِ.

الخَاتِمَةُ

- أَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ تَأَثُّرَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالمَنْطِقِ اليُونَانِيِّ المُسْتَشْرِقُ الأَلْمَانِيُّ مَاركْسُ.

- وَافَقَهُ عَلَى أَصْلِ الفِكْرَةِ جَمْعٌ مِنَ المُسْتَشْرِقِينَ، أَشَارَ البَحْثُ إِلَى أَشْهَرِهِمْ وَهُمْ تِسْعَةٌ.

- كَانَ المُسْتَشْرِقُ الإِنْكِلِيزِيُّ «كَارتَرُ» أَوَّلَ مَنْ شَقَّ إِجْمَاعَ المُسْتَشْرِقِينَ، فَأَبْدَى رَأْيًا مُتَوَسِّطًا، وقَدْ مَهَّدَ الطَّرِيقَ - فِيمَا يَبْدُو -لِلْمُسْتَشْرِقِ «جِيرَارْ تْرُوبُوَ» أَنْ يُصَرِّحَ بِالنَّفْيِ التَّامِّ لِلتَّأَثُّرِ.

- الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ بَيُّومِي مَدْكُورٌ جَمَعَ مَا قَالَهُ المُسْتَشْرِقُونَ قَبْلَهُ، ومَا قَالَهُ جُرْجِي زَيْدَانُ، وسَاقَهُ مَسَاقًا وَاحِدًا، مُبَرْهِنًا عَلَى صِحَّتِهِ.

- يَبْدُو لِلْبَاحِثِ أَنَّ مُحَاضَرَاتِ «جِيرَارْ تْرُوبُوَ» - فِي هَذَا الصَّدَدِ - كَانَتْ لِتَفْنِيدِ حُجَجِ الدُّكْتُورِ مَدْكُورٍ.

- أَكْثَرُ مَا احْتَجَّ بِهِ مُثْبِتُو التَّأَثُّرِ: التَّقْسِيمُ الثُّلَاثِيُّ، مَعَ أَنَّ تَقْسِيمَ الكَلَامِ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ لُغَةٍ، فَلَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى نَفْيِ التَّوَافُقِ حَتَّى نَسْلَمَ مِنْ دَعْوَاهُمْ؛ إِذْ لَا مَعْنَى لِتَكَلُّفِ إِيجَادِ فَارِقٍ بَيْنَ مَا تَشْتَرِكُ فِيهِ اللُّغَاتُ، فَالعَقْلُ يَقْتَضِي الِاتِّفَاقَ فِي أَكْثَرِ تَوْصِيفِ اللُّغَةِ.

- مَا يُذْكَرُ مِنْ تَأَثُّرِ النَّحْوِيِّينَ بِكُتُبِ أَرِسْطُوَ المُتَرْجَمَةِ لَا مَعْنَى لَهُ؛ فَإِنَّ كُتُبَ أَرِسْطُوَ لَمْ تُنْقَلْ إِلَى العَرَبِيَّةِ قَبْلَ القَرْنِ الثَّالِثِ كَمَا يَقُولُ ترُوبُو، وقَدْ تُوُفِّيَ سِيبَوَيْهِ عَلَى أَكْثَرِ احْتِمَالٍ سنة ١٨٨ هـ.

- عَوَّلَ بَعْضُ أَنْصَارِ التَّأَثُّرِ - ومِنْهُمْ مَدْكُورٌ - عَلَى دَعْوَى تَأَثُّرِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ بِالنَّحْوِ السِّرْيَانِيِّ الَّذِي تَأَثَّرَ بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ، فَاقْتَضَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ ثُبُوتَ تَأَثُّرِ العَرَبِ بِالنَّحْوِ اليُونَانِيِّ، ولَا يَكْفِي فِي دَحْضِ ذَلِكَ التَّعَلُّقُ بِأَنَّ النُّحَاةَ السِّرْيَانَ يَرَوْنَ أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ مُخْتَلِفٌ عَنْ نَحْوِهِمْ وعَنْ نَحْوِ اليُونَانِ، فَإِنَّ تَرْكِيبَ اللُّغَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ نِظَامُهُمَا مُخْتَلِفًا، وإِنَّما يُرَدُّ ذَلِكَ بِأَنَّ تَعْوِيلَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى صَدَاقَةِ حُنَيْنٍ لِلْخَلِيلِ بنِ أَحْمَدَ، وعَلَى مَعْرِفَةِ العَرَبِ بِالرُّهَاوِيِّ، وهَذِهِ نَتِيجَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى حَدْسٍ، ولَيْسَتْ دَعْوَى التَّأَثُّرِ فِي هَذَا الفَنِّ وسَائِرِ الفُنُونِ تُقْبَلُ بِمُجَرَّدِ الحَدْسِ والظَّنِّ، أَوِ الِالْتِمَاسِ، أَوِ التَّلْفِيقِ، وإِنَّمَا يَلْزَمُ فِيهَا إِثْبَاتُ وُجُودِ الأَثَرِ، وانْتِفَاءُ إِمْكَانِ التَّوَافُقِ.

- إِنَّ الجَزْمَ بِأَنَّ مَوَارِدَ القِيَاسِ النَّحْوِيِّ أَجْنَبِيَّةٌ لِمُجَرَّدِ أَنَّ القِيَاسَ النَّحْوِيَّ نَشَأَ بِالعِرَاقِ إِلَى جَانِبِ القِيَاسِ الفِقْهِيِّ، وأَنَّ هَذَا التَّجَاوُرَ لَا يَجِيءُ عَبَثًا، بَلْ كَانَ وَلِيدَ التَّأَثُّرِ بِالثَّقَافَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ ومِنْهَا المَنْطِقُ الأَرِسْطِيُّ؛ بَعِيدٌ عَنِ التَّحْقِيقِ العِلْمِيِّ؛ فَإِنَّ القِيَاسَ النَّحْوِيَّ قِيَاسٌ تَمْثِيلِيٌّ، وأَمَّا القِيَاسُ الأَرِسْطِيُّ فَهُوَ شُمُولِيٌّ، ولَمْ يَكُنْ أَرِسْطُو يُعَوِّلُ عَلَى القِيَاسِ التَّمْثِيلِيِّ، بَلْ لَمْ يَكُنْ يُسَمِّيهِ قِيَاسًا، ولِهَذَا لَمْ يَجْعَلِ المَنَاطِقَةُ التَّمْثِيلَ مُوصِلًا إِلَى اليَقِينِ والقَطْعِ.

- مِنْ أَضْعَفِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ قَائِلُو التَّأَثُّرِ: أَنَّ العِلَلَ النَّحْوِيَّةَ مُسْتَقَاةٌ مِنْ فِكْرَةِ العِلِّيَّةِ المُتَأَثِّرَةِ بِأَصْلٍ أَرِسْطِيٍّ؛ وكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ لِكُلِّ مَعْلُولٍ عِلَّةً إِلَّا بِأَرِسْطُوَ.

- مِمَّا أَوْقَعَ كَثِيرًا مِنَ المُدَافِعِينَ عَنْ أَصَالَةِ النَّحْوِ فِي الحَرَجِ: احْتِجَاجُهُمْ بِالعِلَّةِ القَاصِرَةِ، فَيَسْتَنِدُونَ إِلَى حُكْمٍ عَامٍّ قَدْ تَخَلَّفَ بَعْضُ أَفْرَادِهِ.

- جَمْعٌ مِنَ المُنَافِحِينَ عَنِ الأَصَالَةِ أَفَادُوا إِفَادَةً قَوِيَّةً، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِفَادَتِهِمْ بَرِيقٌ؛ لِأَنَّهُمْ غَمَرُوهَا وَسْطَ حَشْدٍ مِنَ الأَدِلَّةِ الضَّعِيفَةِ.

- الخَلْطُ بَيْنَ مُصْطَلَحَاتِ «التَّأَثُّرِ» و «الاتِّفَاقِ»، و «التَّوَافُقِ» مِنْ جِهَةٍ، وبَيْنَ «التَّأَثُّرِ العَقْلِيِّ الجَمْعِيِّ» و «التَّأَثُّرِ الفَنِّيِّ» مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ أَدَّى إِلَى اضْطِرَابٍ فِي تَصَوُّرِ المَسْأَلَةِ، وعَدَمِ وُضُوحِ الرُّؤْيَةِ تَمَامًا فِيمَا يُسَمَّى تَأَثُّرًا.

- نَجِدُ فِي المَكْتَبَةِ العَرَبِيَّةِ كَمًّا كَبِيرًا مِنَ المَقَالَاتِ عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَةِ، جُلُّهَا مَشْحُونٌ بِالعَاطِفَةِ الَّتِي حَالَتْ دُونَ التَّأَمُّلِ والتَّحْقِيقِ، وانْشَغَلَتْ بِالأَجْوِبَةِ الإِنْشَائِيَّةِ.

- تَبَيَّنَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا يُورِدُهُ المُسْتَشْرِقُونَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ غَنِيٌّ بِالِاسْتِبْسَالِ فِي سَلْبِ العَرَبِ القُدْرَةَ، والإِنْجَازَ، أَوْ الإِبْدَاعَ، وهَذَا يَدْعُو إِلَى التَّأَنِّي فِي قَبُولِ مَا يُورِدُونَهُ، وعَدَمِ الِاطْمِئْنَانِ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارِهِ وعَرْضِهِ عَلَى المَصَادِرِ.

- لَقَدْ كَانَتْ أَجْوِبَةُ ترُوبُوَ فِي الجُمْلَةِ عَمِيقَةً، بَيْنَمَا كَانَتْ حُجَجُ مَدْكُورٍ مُتَفَاوِتَةً، فَبَعْضُهَا مُتَوَسِّطُ القُوَّةِ، وبَعْضُهَا قَائِمٌ عَلَى الحَدْسِ، ولَمْ يُقَدِّمْ حُجَّةً عَمِيقَةً تَسْتَحِقُّ النَّظَرَ.

ثبت المصادر والمراجع

[١] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب (دار الكتب العلمية ببيروت - ط١ - ١٤١٧ هـ).

[٢] ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، البلدان (تحقيق يوسف الهادي - عالم الكتب، بيروت، ط ١ - ١٩٩٦م).

[٣] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، بتحقيق د. سهيل زكار (دار حسان بدمشق - ط١ - ١٤٠٣ هـ).

[٤] ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، صورة الأرض (دار صادر ببيروت - ١٩٣٨م).

[٥] ابن سينا، الإشارات والتنبيهات (تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بالقاهرة، ط ٣ - ١٩٨٣م).

[٦] الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، الموسوعة القرآنية (مؤسسة سجل العرب - ١٤٠٥هـ).

[٧] أحمد أمين، فجر الإسلام (مؤسسة هنداوي).

[٨] أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب (عالم الكتب، ط ٨ - ٢٠٠٣).

[٩] أرسطاطاليس، فن الشعر (ترجمة د. إبراهيم حمادة - طبعة الأنجلو المصرية).

[١٠] البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم (عالم الكتب ببيروت، ط ٣ - ١٤٠٣ هـ)

[١١] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (دار الهلال - مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف).

[١٢] جير هارد، المناظرة بين المنطق الفلسفي والنحو العربي / مجلة تاريخ العلوم العربية ١٩٧٧م (مجلد ١، عدد ٢).

[١٣] جيرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ١ - ١٩٧٨ م).

[١٤] الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان (دار صادر ببيروت، ط ٢ - ١٩٩٥م).

[١٥] دليلة مازوز، الأحكام النحوية بين النحاة و علماء الدلالة دراسة تحليلية نقدية، رسالة علمية لم أقف عليها بنشر مطبعي.

[١٦] دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام (ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده).

[١٧] رجب البنا، «طه حسين في مرحلة التكوين» (نسخة إلكترونية).

[١٨] الزبيدي، محمد بن الحسن الأندلسي، طبقات اللغويين والنحويين (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٢).

[١٩] الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحويين (تحقيق مازن المبارك، دار النفائس ببيروت، ط ٣ - ١٩٧٩م).

[٢٠] السعدي، إسحاق بن عبد الله، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، (وزارة الأوقاف بقطر - ط الأولى).

[٢١] سيبويه، الكتاب (م الخانجي بالقاهرة، ط ٣ - ١٩٨٨م، تحقيق عبد السلام هارون).

[٢٢] الشابشتي، علي بن محمد، الديارات (من نسخة إلكترونية).

[٢٣] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول (دار المعارف - ط ١٦).

[٢٤] صفية بنت زينة، القسمة الثلاثي للكلم بين النحو العربي والمنطق الأرسطي.

[٢٥] صلاح حسن رشيد، أثر النحو العربي في الدراسات اللغوية الغربية (نسخة إلكترونية).

[٢٦] عباس حسن، النحو الوافي (دار المعارف، ط ١٥).

[٢٧] عبد الرحمن الحاج، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب: إيجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٩٦، من بحث ألقاه في مؤتمر المجمع في دورته الثامنة والستين سنة ٢٠٠٢ م.

[٢٨] العقيلي، حسن منديل حسن العقيلي، تيسير النحو العربي بين المحافظة والتجديد، الأستاذ عباس حسن أنموذجا (شبكة صوت العربية - نسخة إلكترونية)

[٢٩] عَلوي السقاف، موسوعة الملل والأديان، لمجموعة من الباحثين بإشراف عَلوي السقاف (نسخة إلكترونية).

[٣٠] عمايرة، إسماعيل أحمد، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية (ط الثانية - ١٩٩٢).

[٣١] غريغوريوس - ابن العبري - تاريخ مختصر الدول (دار الشرق، ط٣، ١٩٩٢م) / ٣١.

[٣٢] الغزالي، محمد بن محمد، معيار العلم في فن المنطق (تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر - ١٩٦١م).

[٣٣] ف. بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر (دار المعارف - ط الرابعة).

[٣٤] القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (دار الجيل ببيروت، ط ١ - ١٤١٢ هـ).

[٣٥] القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٥ م).

[٣٦] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (دار المعارف - ط الرابعة).

[٣٧] الكرخي، إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المسالك والممالك (دار صادر ببيروت - ٢٠٠٤م).

[٣٨] مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة وتحقيق - عن الفارسية - السيد يوسف (الدار الثقافية للنشر بالقاهرة - ١٤٢٣هـ).

[٣٩] مدكور، إبراهيم بيومي، منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة العدد ٧.

[٤٠] مهدي المخزومي، الفراهيدي عبقري من البصرة (ط الثانية - دار الشؤون الثقافية).

[٤١] النملة، علي بن إبراهيم، المستشرقون والتنصير للدكتور (ط الأولى) / ١٠٦.

[٤٢] اليعقوبي، البلدان (دار الكتب العلمية بيروت - ط١ - ١٤٢٢ هـ).

Arabic grammar as Logical between Madcour & G. Troupeau

Abdulaziz bin Ahmed ALBajady
Arabic Language Department
College of Arabic Language and Social Studies, Qassim University

Abstract. It is not a new issue to talk about «logic effect in Arabian grammar». Dozens of works wrote as a book, an article, and a chapter of a scientific thesis. My contribution in this research is not to increase the writings, or to repeat something ancestor of them, but I've seen most of who wrote about it either refuter never, and either a supporter at all, and either seeker in to mediate, which is in fact combines between the two views, or fabricator a third view, I did not find someone who was a neutral in his discussion for both the two views as scientifically going away of any influent. So I saw that I oppose the prover's view with the denier's view, then do the conversely, on scientific table seriously, discussing the argument both, inspecting in the answer of every one of them, using the assets of controversy in all of that, and pure impartiality, according to what is known as analysis of the knowledge - or the theory of knowledge (= Epistemology) , I chose for the parties to the dispute the two famous of who the issue had been known by them, one of them: Dr. Ibrahim Bayoumi Madkour because that his opinion to prove effect was recap what the Orientalists before him said, and he showed it as arranged show, and the other: Orientalist German «Gerard Troupeau», because he was the representative the scientists who deny idea of this effect , discusser with a deep breath.